I B R A H I M A L - K O N I

نينوى WRITINGS

إبراهيم الكوني

ملحمة المفاهيم 3

لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر



بيان في لغة اللاهوت 7



ملحمة المفاهيم (٣) : لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر [بيان في لغة اللاهوت ٧] / نصوص
إبراهيم الكوني / مؤلّف من ليبيا
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
®
لوحة الغلاف :
من رسومات فنّاني ما قبل التاريخ / ليبيا
الصفّ الضوئيّ :
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد پرس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-886-4

نصوص
WRITINGS

إبراهيم الكوني



ملحمة المفاهيم 3

لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر

بيان في لغة اللاهوت 7



«اللّغة ليست قانوناً موضوعاً من قبل العلماء أو مؤلفي المعاجم، ولكنّها حصيلة عمل، حاجة، علاقة، فرح، هوى، وذوق أجيال الإنسانية السالفة من خلال امتلاكها اسساً حميمة الصلة بأمّنا الارض».

(وايت ويتمان)

زاي الكينونة (ز Z)

الزاي ككيان

يقف حرف الزاي في لسان البدايات على طرفي نقيض مع حرفٍ قرين له في النطق، ولكنه بعيد عنه في المدلول، ألاَ وهو السين. فإذا كان الحرف الأخير قد ارتحل عبر لغات العالم لتأدية **رسالة الجوهر**، أو كلّ ما له صلة **بالباطن**، استعارةً من لغة التكوين الحاملة لذخيرة الروح الإنسانية من خلال لسان الحرف الساكن الواحد، فإن حرف الزاي قد اختار أن يسلك سبيل **المظهر** في رحلة العرفان من خلال حمولته الدلالية كـ«**كيان**»، أو «**كينونة**».

ولمّا كان الكيان بطبيعته حاملاً **لمبدأ باطني مستتر** وليس مجرّد جرم أجوف، فلا بد أن يحتوي على **سرّ آخر** يصير له قريناً مكمّلاً يكون له بمثابة **شرط وجودٍ**، عملاً بناموس **وحدة الأضداد** المؤسّس لأعجوبة الوجود.

ولو اكتفى العقل البدئي بتسمية الكيان بحرف ساكن واحد هو الزّاي، وصرف النظر عن **روح** هذا الكيان المسمّى بحرف السين، لغابت **القيمة** من ساحة الدنيا، ولتزعزع تبعاً لذلك ناموس المغامرة الوجودية كلّها.

ولكن عبقرية العقل البدئي لم تكتفِ بتسمية ما **استظهر** من لعبة الوجود (بحرف الزاي) بعد تسمية ما **استتر** (بحرف السين)، ولكنها أبتْ إلا أن **تقرنهما** باسمين متشابهين في موسيقى الصوت التي يسميها النحاة نطقاً، يقيناً من عبقرية هذا العقل **بوحدتهما الشكلية**، برغم **تناقضهما موضوعياً**.

فالزاي، في الواقع، هي ذاتها السين محرّفةً تحريفاً صوتيّاً خفيفاً جدّاً. وهو أمر لا يخلو من دلالة مجازية اعتاد دهاء العقل البدئي أن يخاطبنا بها دائماً عندما يريد أن ينقل لنا رسالة توحي بانتماء كلمات محدّدة إلى **أرومة سلالية واحدة** فينعتها بملفوظاتٍ تنتمي إلى **عائلة صوتية واحدة**، ولا اختلاف بينها سوى في حرفٍ واحد غالباً ما يكون من الجنس المتحرّك الذي لا يملك حقّاً شرعياً كحرف أساساً في لغة البدايات. وهو إيحاء آخر دالّ على **وحدة** هذه الكلمات **الأصلية** فيما إذا جرّدناها من حروف العلّة ذات السليقة الزائلة. وهو ما يعني هنا أن رسالة العقل التكويني في شأن السين والزاي تريد أن تقول أنّ الزاي الحامل لمعنى الكيان ما هو إلاّ السين الحاملة لمبدأ المضمون الذي يتخفّى وراء كل كيان، لأن الوجود لا يصير وجوداً إذا لم يكن اللّغز مركّباً من **كيان وجوهر، ظاهرٍ وباطن، بدنٍ وروح**.

زاي الرمز الأبجدي

وكلمة «الكيان» التي ترد في لغة الطوارق من خلال منطوق حرف الزاي، وتُلفظ كـ«زّا» مشدّدةً، إنما تعني أيضاً مبدأ «**الضّفر**» (اشتقاقاً من فعل ضَفَرَ، يضفر، ضفراً». ويبدو واضحاً أن الحرف الأبجدي الدّال على الزاي في لغة الطوارق إنّما استعار شكله المماثل لشعار ربّ البحور «نبتون» (المتمثّل في عمود متوّج الرأس بثلاثة أسنان ومدعم القاعدة بثالوث أسنان مماثلة) من مبدأ **الضفر** هذا. وقد استعارت الرموز الهيروغليفية مبدأ «**الفتل**» (أو الضفر) هذا في رمزها الدّال على حبل طويل مشطور بعقدتين اثنتين تدليلاً على مبدأ الكينونة الذي لا يتشكّل في كيان ما لم يستقم عوده في **ضفائر** (أو عقد على حدّ سواء) حلزونية في ارتفاعها إلى أعلى.

والمدهش أن مبدأ «**الفتل**» أو «**العقدة**» في رموز هاتين اللغتين البدئتين قد انتقل إلى رمزي اللسانين اليوناني واللاتيني من خلال حرف الـ«Z» الذي إذا تأمّلناه مليّاً وجدناه دالاً على التواءاته المكرورة على تركيب يوحي في الأصل بالشروع في وضع حجر الأساس لبنيان **الكيان** كتأسيس مبدئي للركن الظاهري في ثنائية الوجود.

والمثير أن العلاقة بين السين كوجه آخر للعملة، وبين الزاي كمظهر أو وعاء للغز، لم يقتصر على لغة الطوارق (كحاملة لوزر الطلسم البدئي)، ولكنه انتقل إلى لغتي مصر القديمة وكذلك اليونانية القديمة من خلال رموز الأبجدية. فالسين كرمز حرفي في الهيروغليفية ورثناه في النقوش مجسّماً على شكل حبل موسّم في الوسط بضفيرتين (عقدتين) أيضاً. كما نجد أن الحرف اليوناني اللاتيني الدّال على السين تركيب حلزوني متعرّج أيضاً مثيل لحرف الزاي إنّما بطريقة مقلوبة. ذلك يعني أن العقلين المصري القديم وكذلك اليوناني القديم (ومن بعده اللاتيني) إنما يعتنقان ذات اليقين المستعار بطبيعة الحال من ناموس العقل البدئي القائل بوجود **رباط مقدّس** بين السين كعلامة دالّة على **جوهر** الوجود، وبين الزاي كعلامة قرينة لها لا في اللفظ وحسب، ولكن في **المضمون**، لأنها ما هي في حقيقتها سوى **الكيان** الحاوي لهذا الجوهر.

ولمّا كنا نعلم من الإرث الديني لإنسان التكوين أن الجوهر (أي جوهر) دائماً مبدأ **مقدّس**، هذه القداسة المستعارة من طبيعة هذا المبدأ كبُعد **مجهول الهويّة**، فإن هذه العقيدة هي المؤهلة لأن تفسّر لنا سرّ اختيار عقل البدايات لرمز الدائرة التي تتوسطها نقطة للتدليل على حرف السين في أبجدية الطوارق المعروفة في المصادر باسم «تيفيناغ». ذلك أن مبدأ الاستدارة ما هو في الأصل سوى **لفافة** إذا عاملناه بمقاييس **التجربة الحسيّة** التي ابتنى العقل التكوني باستخدامها صروح **المفاهيم التجريدية**. لأن الظاهرة، أي ظاهرة

سواء كانت حجراً أم شجرة، أناماً أم أنعاماً، ما هي في ناموس العقل التكويني سوى علامة، رمز، استعارة، تشير دائماً إلى بُعْدٍ خفيّ في لغز المغامرة البطولية التي اعتدنا أن نطلق عليها اسم الوجود. **وقيمة اللفافة هنا في مبدأ استسراري كامن في الاستدارة** المستعارة من أشكال الأجرام السماوية. ولهذا فإنها من حيث الشكل **إيماء يستطيع أن يوحي بسلطة. سلطة ميتافيزيقية** لا لأن الاستدارة شكل مثيل للأجرام السماوية وحسب، ولكن بسبب خصائص الدائرة كشكل وحيد في الظاهرة يستطيع أن يجمع كل الأشكال الهندسية في شكله (أرسطو)، كما يستطيع أن يتدحرج فلا يتأثّر أو ينكسر (ابن عربي) مستعيراً مبدأ عصيّاً ممتنعاً يكمن في **مرونة** لا نظير لها إلا في مخلوق ميتافيزيقي هو **الحيّة** التي ترد في الديانات الاستسرارية كقرين شرعي للدائرة، بل وكشعار للدائرة كما في الديانة الهيرميسية. هذه الدائرة المعبّرة عن **الربوبية**، والمرموز لها بالحيّة الملتفة حول نفسها مكوّنة دائرة لا بموهبة المرونة البدنية وحسب (لأن مرونة البدن ما هي إلاّ كيان الظاهرة الذي يومىء إلى بُعد مجهول أبعد منالاً)، ولكن لعلّة ميتافيزيقية أخرى مرموز لها في ميثولوجيات الأمم بالقدرة على استبدال الجلد، هذه القدرة التي لن تعني في النهاية سوى دلالة واحدة كانت دائماً من امتياز الربوبية ألا وهي: **الخلود!**

ولكن رمز السين في لسان الطوارق لم يكتمل بالدائرة وحدها، ولكن دهاة البدايات أضافوا للدائرة نقطةً في قلب الدائرة

لاستكمال الإيماء. ولكن أي إيماء هذا يمكن أن تحققه نقطة تافهة لتهب الوجود برمّته معنى؟

النقطة إذا فقدت هويّتها كنقطة وصارت نواةً، صارت ما يسميه أهل التصوّف **قطباً**. صارت ما تسمّيه الديانات الاستسرار **مركزاً**. هذا المركز الذي صار للغز الوجود **أمّاً** حاملاً للوزر كلّه.

وقد استعارته الهيروغليفية فجعلته علامةً لربّ الأرباب «رع» لا بسبب دلالته البدئية الرديفة **للشمس** كمعبود، ولكن بسبب دلالته الأخرى الكامنة في السين **كجوهر** انبثقت منه طائفة ثرية من الدلالات الميتافيزيقية المترادفة في بعض الأحيان (كما هو الحال مع دلالات مثل **المعرفة والإنسان**، أو **النار والشرّ**) ومتضادّة أحياناً أخرى (كما هو الحال مع دلالات مثل **الألوهة والشيطان**).

وبرغم أننا ليس من واجبنا أن نبحث عن مبرّرات تغفر لعقل البدايات هذه النزعة في إطلاق أسماء تبدو متناقضة على المبدأ المفهومي الواحد (برغم أننا لا يجب أن ننكر أيضاً أن هذه النزعة هي التي أسست لمبدأ **الجدل** في فلسفات تالية إلى حدّ صار فيه هذا المبدأ مصدراً لاكتشاف ركن هام من أركان مغامرتنا الوجودية)، إلا أننا يجب أن نعترف لهذا العقل الداهية أيضاً بحقّه في اعتناق هذه النزعة في مرحلة تأسيس المفاهيم الميتافيزيقية المحفوفة لا بالغموض فحسب، ولكن بالخطر أيضاً. لأن **المعرفة** التي يطلق عليها عقل البدايات اسم «سا» أي السين مجرّدة، تستطيع أن تشترك مع اسم **الإنسان** أيضاً من خلال **مفهوم** كامن في

بُعْد الانشحان، أي أن اسم الإنسان البدئي هو **المشحون**، أو **المعبّأ** (**بقيمة خفيّة** عن الأنظار يقيناً)، بنفس القدر الذي يبيح فيه هذا العقل الفذّ لنفسه بأن يطلق اسم السين على **الشرّ** لأنه **قيمة خافية** أيضاً، كما أن **الألوهة** تستطيع أن تحمل ذات الاسم لأنها قيمة **جوهرية**، أي **خافية**، أو **ميتافيزيقية**. ولمّا كانت الحيّة (أحيل حيوانات البريّة كما يصفها سفر التكوين)، أي أنها مخلوق ميتافيزيقي، فقد استحقّت أن تنال اسم السين (الجوهر) من دون المخلوقات الأخرى باستثناء الإنسان **المشحون** أيضاً بجوهر المعرفة المماثل للحيّة وللشيطان أيضاً في آن معاً.

خلاصة الوصيّة تقول أن عقل التكوين في مغامرة تأسيسه للمفاهيم المجرّدة عمد إلى استعارة رموز أبجديّته من ساحة التجربة الحسيّة أيضاً كما حدث مع حرف الزاي المؤسس لمبدأ الكينونة في مستواها المرئي باستخدامه لحيلة **الضفيرة** أو اللفافة، في حين لجأ إلى استخدام **الرمز الاستعاري** عندما أراد أن يعبّر عن مفهوم غامض ومجهول كـ«**الجوهر**». فإذا كانت الحية التي تعضّ ذيلها (أي الدائرة على النحو الذي تعتنقه ديانة استسرارية كالهرميسيّة) تمثّل **صورة العالم** (أو مظهر الوجود)، فإن النقطة التي تتوسط الدائرة هي إيحاء. إيحاء يمثّل **نواة العالم** على النّحو الذي تبثّه الديانة المصرية القديمة في رمز الناووس المجسّم على شكل جرم مستطيل في مركزه تقوم علامة أفقية في امتدادها كنايةً عن رفات الميّت. وهو إيماء نجد مثيلاً له في حرف الباء كما يرد في

أبجديّتي المصريين والطوارق (مجسّماً على شكل دائرة مشطورة بعلامة في تيفيناغ الطوارق، ومحرّفة قليلاً في الهيروغليفية بحيث تستقيم الأضلاع في الدائرة (حسب قراءة غاردنر) لتصبح مربّعاً خاوياً.

فالعقل البدئي (الصحراوي) الذي أسّس المفهوم قبل أن يبتدع للمفهوم علامة مبثوثة في رمز مجسّد كان لا بدّ أن يخرق الدائرة بخطّ إيماءً إلى المدلول الذي تحمله كحرف باء، لأن ملفوظ هذا الحرف يعني في هذا اللسان اسماً جليلاً هو: «الروح»! ليس الروح فحسب، ولكنه يعني أيضاً العدم. وقد استعارته المصرية القديمة في شقّ القبيلة الذي نزل وادي النيل، واستعارته العربية في كلمة «أب» أو «ابن» حاملاً ذات الدلالة.

وهو ما يمكن ترجمته بأن الموتى ما هم إلاّ أرواح تخترق بدن هذا العالم. وهي تجربة رديفة لمفهوم العدم بسبب اغترابها عن صورة الوجود المتمثلة في الدائرة، برغم أنها قائمة في باطن الوجود بتستّرها في جوف الدائرة.

آزجر: طارقية، عربية، بذئية

إذا كانت الحروف الثلاثة (اللاّم والرّاء والنون) قد حقّ لها أن تتبادل الأدوار دون أن يتأثّر المعنى في الكلمة حتّى صارت بمثابة الحرف الواحد لا بسبب انتمائها إلى سلالة الحروف الذُّلُق كما يذهب ابن منظور ولكن بسبب **هويتها الربوبية** كما دلّلنا في الجزء الرابع من هذا البيان، فإن حروفاً ساكنةً مثل الزاي والهاء والشين قد استعارت **ذات المزيّة** يوم تبادلت الأدوار في لسان الطوارق لتصبح أيضاً بمثابة حرف واحد، وذلك بسبب انتمائها إلى **أرومة دلالية واحدة** أيضاً تمثّلت في **الكيان**. فإذا كانت الزاي تحمل هذا المدلول من خلال منطوق (زّا) فإن الهاء (كما تلفظها قبائل آزجر وأهجار إبدالاً من الزاي المستخدمة في لسان قبائل «آير») لا بدّ أن تستعير ذات الدلالة أيضاً من خلال معنى **البيت** الذي لن يعني شيئاً آخر في الواقع سوى مبدأ **الكينونة**. أمّا الشين كما تلفظها قبائل آضاغ (مالي حاليّاً) بديلاً من الزاي والهاء فإنها حرف دخيل مستبدل أساساً من السين ولا وجود **أصلي** له في اللغة البذئية. وأحسب أن مجرّد استعماله كبديل لحرف السّين أمر لن يخلو من معنى إذا استعدنا العلاقة الحميمة القائمة بين مفهوم الزاي **ككيان**

ومفهوم السين **كجوهر** لهذا الكيان، كما سبق التحليل، فضلاً عن قرانهما في نغمة المنطوق الصوتي.

وإذا كانت سواكن مثل اللام والراء والنون ثالوث يستمدّ شرعية التعاقب من **روح القداسة** كحروف حاملة لاسم الربّ في معجم لغة التكوين، فإن سواكن الزاي والهاء والشين تستطيع بدورها أن تستعير شرعية إبدالها من ذات الروح القدسية التي وهبت شرعية التعاقب لثالوث الحروف الربوبية وإن كان في بُعْد آخر تمثّل في **المظهر**، أو الوجه الآخر، المستظهر، من ملحمة التكوين. فالربوبية التي اعتاد العقل البدئي أن يعبّر عن حقيقتها **إيحاءً** في رموزٍ استعارية إنما تمثّل **القيمة الخافية** في ثنائية الوجود الملفّقة من **روح وجسد**.

ولمّا كان الجسد الذي يحوي **القيمة الخافية** مبدأً لا بدّ أن ينال نصيباً من خصال حميمه الباطن، فلا بدّ أن يكتسب الوعاء قداسة **فحوى** الوعاء ما دامت العلاقة، أيّ علاقة، هي **تجربة جدلية** لا بدّ أن يستعير فيها الماء لون الإناء كما يستعير فيها الإناء نصيباً من خصال الماء، لأن الروح السليمة لا تسكن إلاّ البدن السليم.

فإذا كان حرف الشين المستخدم في لهجة قبائل آضاغ (طوارق مالي) كبديل لحرف السين يستعير قداسته مباشرةً من مدلوله **كجوهر**، فإن حرف الزاي المستخدم في لسان طوارق «آير» (النيجر) قد استعار قداسته من **مبدأ الكيان** الحاوي لباطنٍ خفيّ لابدّ أن يتكتّم على **قيمة**. وهي قيمة ميتافيزيقية الهويّة بالضرورة،

يشاركه في هذه القيمة المستترة كيان آخر عبّر عنه لسان التكوين بحرف الهاء، إبدالاً من الحرفين السالفين، كما يستخدم في لسان طوارق «آزجر» (ليبيا)، وطوارق آهجّار (الجزائر)، برهاناً على معنى: «**البيت**». فما هو البيت إن لم يكن **كياناً**؟ وما هو الكيان إن لم يكن **هيكلاً**؟ وما هو الهيكل إن لم يكن **حَرَماً**، أو **معبداً**؟ وما هو الحَرَم، أو المعبد، إن لم يكن **البيت** (المعبّر عنه بالهاء)، أو **الكيان** (المعبّر عنه بالزاي) الذي تسكنه **الربوبية** (المعبّر عنها بالسين كإبدال من الشين)؟

هذه مقدّمة ضروريّة لفهم مسألة في غاية الخطورة لعبت دوراً جسيماً في **إخفاء حقيقة الدياسبورا الكونية** التي انطلقت من القارّة الصحراوية الكبرى إلى أركان الدنيا الأربع حاملةً في لسانها البدْئي رسالة المفاهيم التي أسّست ناموس الحضارة.

فـ «**آزجر**» هو الاسم الذي يطلقه أهل الصحراء الكبرى على الوطن الذي يشكّل قلب هذه القارّة مكوّناً **النواة** التي كانت مهد الحضارة الإنسانية كما أثبتت الحفريات الأثرية، والمكتشفات الفنية الثرية المزبورة على جدران السلاسل الجبلية مثل تاسيلي وتادرارت وجبل العوينات مكوّنة أقدم متحف تاريخي للفنون التشكيلية في العالم وأكثره موسوعيّة وملحميّةً بحيث لو قُرىء على النحو الذي قُرئت به نقوش حضارة كالحضارة المصرية لكشف البرهان لا على العلاقة الحميمة بين الحضارتين وحسب، ولكن على **أسبقية** حضارات الصحراء الكبرى على حضارة مصر القديمة ومن بعدها

بقيّة حضارات العالم القديم برغم أن العقل اليوناني لم يبخل بمثل هذه البراهين.

فبالاحتكام إلى قانون الإبدال (الذي لا غنى عنه في تحليل ألسنة أمم اليوم فكيف بألسنة العالم القديم) نكتشف أن حرف **الزاي** في كلمة «**آزجر**» ليس سوى حرف **الهاء** المستخدم في لسان القبائل التي ما تزال تسكن هذا الوطن، وقد اغترب لسبب مّا ليحلّ محلّه الزاي المستعمل في لسان قبائل «**آير**» جنوب الصحراء. وهكذا تصبح الكلمة «**آهجر**» (أو بالأصح «**آهجّار**») وهي قبيلة شديدة الأصالة تحتلّ الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى وأسست حضارة «نوميديا» على سواحل المتوسط (قسطنطينة حاليا).

وبرغم أن الطوارق كثيراً ما يروون في أساطيرهم التي ورثوها عن أسلافهم الصلة السلالية الحميمة بين هاتين القبيلتين، إلاّ أن الحروب كثيراً ما نشبت بينهما (علّ آخرها حروب نهايات القرن التاسع عشر الدامية) على نحوٍ يدلّل على عداوة تاريخية مبيّتة.

فإذا كنّا قد أثبتنا في جزء آخر من هذا البيان إمكان الإبدال بين حرفي الواو والقاف والغين في كل ألسنة شمال أفريقيا، فإن «**آهجّار**» أو «**هجّار**» ليست سوى «**هوّارة**» القبيلة العظيمة الشأن التي يحدّثنا ابن خلدون في تاريخه عن أهميتها الاستثنائية كأكبر قبائل الشمال الأفريقي بأسره.

ليس هذا فحسب، ولكن اسم «**زوارة**» (كأهم قبائل الساحل)

إنّما تحمل الاسم ذاته (أي هجّار) إذا طبّقنا بشأنها القاعدة التي تبيح للهاء أن تتبادل الأدوار مع قرينتها الزاي.

هذا يعني أننا عثرنا على المفتاح السحري الذي يجمع **شتات** القبيلة البدئية في حدود الصحراء الكبرى وسواحل الشمال الأفريقي من خلال اسم **«آزجر»** الذي إذا تأمّلناه مليّاً في قراءته المستبدلة (أي الحقيقية) اكتشفنا أنه ليس سوى اسم: **«هجر»** الدّال على اعتناق **ديانة الترحال** والمستخدم في العربية بذات المعنى.

ذلك أن كلمة **«آزجر»** حتى في صيغتها المستخدمة للفظة الزاي إنما تعني في لسان البدء: **«قطع الوادي عرضاً»**، أي **هجر** مساره طولاً، مما يعني مجازاً **التخلّي** عن المكان، والانتقال للإقامة في مكان آخر، طلباً لكلأ المراعي، أو بحثاً عن السكينة، أو استبدالاً للوطن برمّته.

والغريب أن كلمة **«هجّار»** إنما تعني نعتاً يلصق بالإنسان **النبيل** العاشق لمبدأ **الحريّة** بالذّات، مما يدلّ على أن دهاء العقل البدئي لم يطلقه على صاحب الترحال إلا لارتباط **الهجرة** بحلم **الحريّة** ارتباطاً صميمياً سرعان ما تحوّل إلى عقيدة تسري في دم كل سليل صحراء، ليقين هذا العقل بأن المقام في الصحراء وحده لا يكفي لتحقيق أعجوبة الحرية، ولكن لا بدّ من **التنقّل** باستمرار خوفاً من استمراء الاستقرار في المكان الذي لن يعني سوى الاستسلام لأغلال العبودية.

وأحسب أن ما ورد في سفر التكوين عن تفضيل الربّ لتقدمة الراعي هابيل في مقابل قربان صاحب الأرض قابيل ما هو إلاّ وصية مستعارة من ناموس **عبادة الهجرة** التي انطلقت من أرباع أقدم وأعظم صحاري العالم منذ ما يزيد على المائة ألف عام حسب تقدير الخبراء.

وعلّ إلصاق نعت جليل ومعبود في كل الثقافات مثل نعت الحرية وشحنه بمدلول **الهجرة** بحيث يصيران **قريناً** سوف يفسّر لنا الهوس المحموم **بالتنقّل** الذي أدّى في النهاية إلى **تشتّت** القبيلة البدئية الكبرى وانتقالها إلى وادي النيل شرقاً وبلاد الرافدين (سومر)، وإلى اليونان وبلاد اللاّتين شمالاً مؤسسّةً لأكبر دياسبورا عرفها التاريخ.

وإذا كان اليونانيون يعترفون بانتمائهم إلى ليبيا لا جغرافيّاً أو عرقيّاً فحسب من خلال اعترافهم بأن «جرمنت» (وهي حضارة «آزجر») هو أوّل إنسان عرفه التاريخ كما تقول المصادر، فإنهم لم ينكروا هذا الانتماء ثقافياً أيضاً من خلال اعترافهم باستعارتهم لديانتهم ولآلهتهم وعلى رأسهم الربّة «أثينا» (التي هي تانيت الصحراوية) كما يؤكّد هيردوت. إذا كان الأمر كذلك، فإن المصريين قد فعلوا ذلك أيضاً على طريقتهم، أعني من خلال شعائرهم التي لم تعترف بغير **الغرب** وطناً في صلوات دنياهم كما في ابتهالات مماتهم كما ورثناها في متون الأهرام المسمّاة بلغة التكوين «برت أم هرو» التي تعني «الطريق إلى حرم الإله هرو» وهو مكان جليل يقع في صحراء تاسيلي كان كهنة «آزجر» قد

اتخذوه حَرَماً لإله الآلهة الصحراوي «**هرو**»، ثم جاء علماء المصريات ليقرأوا التعويذة على طريقتهم فيطلقوا على مجموع تلك المتون اسماً غريباً لا علاقة له بالمتن الأصلي هو: «**كتاب الموتى**» من باب الاستعارة لا الترجمة الفعلية. وهم ذات العلماء الذين فسّروا غرام المصري القديم بجهة الغرب بنزعته في تقديس **الغروب** (غروب الشمس تحديداً) إلى حدّ أبوا فيه أن يُدفنوا إلاّ غرب النيل لا شرقه، على أن يولّوا وجوههم حتّى وهم في قبورهم ناحية **الغرب**، كأنّ هؤلاء الدهاة تحوّلوا فجأة ملّة بلهاء بحيث قرّروا بين عشية وضحاها أن الغروب (غروب الربّ رغ) يحدث غرب النيل دون شرقه، أو أنهم يستطيعون أن ينالوا رحمة الإله في غروبه دونها في شروقه، أو أن «**منتتو**» التي ترد في النقوش الجنازية والتي لم يفلح علماء المصريات في فكّ طلسمها الدّال على «**السلالة**» كما تكشف لغة التكوين، هي جهة ترمز لرحلة الموت دون أن ترمز لرحلة العبور إلى الوطن الأمّ الذي ظلّ هاجس الإنسان المصري القديم العمر كلّه. وهو ليس مجرّد هاجس، ولكنه أنبل أجناس الحنين، لأن التوق إلى الصحراء ليس توقاً إلى **وطن التكوين** فحسب، ولكنه توقٌ إلى وطن **الحرية**، توق إلى الفردوس الذي لم يكن يوماً سوى هذه **الحرية** نفسها المتمثّلة في **الترحال**، سيّما إذا كان هذا الإنسان المعذّب بضروب الفَقْد قد ذاق مرارة العبودية نتيجة استسلامه للأرض التي لا تهبنا ثمارها إلاّ لتسمّم أرواحنا بدل أبداننا.

وقد خسر إنسان الدياسبورا الذي استقرّ على ضفاف وادي النيل الصفقة برغم أنه ابتنى لنفسه ذكراً باقياً في الحضارة، باع روحه لشيطان الأرض (ست) فخسر الحرية الكامنة في مبدأ **الهجرة**. خان ضميره برغم فلاحه في تأسيس ناموس الضمير الإنساني الذي نجده مبثوثاً في صميم الوصايا العشر تالياً.

خسر إنسان **الاستقرار** لأن الحضارة التي وضع لها الاستقرار حجر الأساس ما لبثت أن صارت **ضحيّة** استقرارا!

هذا هو السرّ في **زوال** ثقافة الإنسان الذي يحيا على شطآن المياه، ويرفل في ضروب الثراء، في مقابل **بقاء** ثقافة الإنسان الذي يحيا في الصحراء، يعاني الحرمان حتى من قطرة الماء، لأن الأوّل استبدل **الحرية** بالحضارة، أمّا الثاني فقد ضحّى بالحضارة في سبيل **الحرية**، وهو ما يعني أن الكلمة الأخيرة في ثنائية الوجود دائماً للحرية!

آزجر: كمفهوم هجري

لغة اللاّهوت (التي هي لغة التكوين) هي أوّل من وضع حجر الزاوية لبنيان مفهوم الهجرة من خلال لفظة «هاجر» المستبدلة من «آزجر». ولم تكتفِ بتشييد صرح **المفهوم**، ولكنّها جعلته رديفاً شرعيّاً لمبدأ أخطر هو: «**النبالة**» في بُعْدها اللاّهوتي، أو الربوبي. وهو اكتشاف جدير بأن يستوقفنا لا لدوره التاريخي في **تصحيح** مسيرة النظام السياسي البشري فحسب، ولكن لخطورته في **إنقاذ** تلك الوصايا التي لم تفلح في إنقاذها **حصون الاستقرار** التي يتباهى فيها الكهنة **باحتكار الناموس** وفرض قيود التحريم على لغة اللاّهوت إلى حدّ صارت فيه أقدم ثقافة في التاريخ رهينة لاسم دالّ على **المنع** في أقسى أجناسه من خلال تعبير «**هيروغليف**» (الذي يعني بلغة التكوين **الوصايا المكنونة**) مما أسهم في **إضاعة** الوصايا بدل **حفظ** الوصايا، لأن المبالغة في **إخفاء** الكنز ما هو إلاّ **إضاعة** للكنز.

والهجرة لم تكن لتفلح في إنقاذ ما يمكن إنقاذه لو لم تقترن بمبدأ أنبل هو **النبوّة**، بل مبدأ **النبل** الذي دلّت عليه هذه الكلمة في لغة التكوين مستعار أصلاً من هذا المبدأ الإلهيّ المتمثّل في النبوّة.

صارت الهجرة السلاح الذي أنقذ النبوّة، كما صارت النبوّة السلاح الذي أنقذ **الحقيقة**، برغم أن الخطر ظلّ معلّقاً على رأس **سلالة العبور** منذ ارتفعت يد الإثم (قابيل) لتنحر سليل الهجرة (هابيل) لترتوي الأرض بدم **الجريمة** لأول مرّة في تاريخها. وهو ما يجب أن يعني بلغة المجاز أن ملّة المهاجرين وُلدت أمّة مهدّدةً بقدرِ اسمه الجور. أمّة مطاردة أيضاً لأنّها لا بدّ أن تفرّ بكنزها **السماوي** المستهدف من قبل **أمّة الاستقرار** التي لا ترى سعادتها إلاّ بالقضاء على قرينتها المهاجرة.

وما الحزن النبيل (أو الجميل كما يصفه شوبنهاور) الذي نستشعره كلّما وقفنا لتأدية شعائر الوداع لإنسان مهاجر إلاّ السيماء الميتافيزيقية الناجمة عن تأدية **فريضة**. دفع دَيْنٍ اسمه **الفداء** كان دائماً شرط كل نبوّة. والهجرة تعويذة لا تهُبُّ لنجدتنا إذا لم نعتنقها لذاتها. والرسول محمد في هجرته لم يكن له أن ينتصر بالأنصار لو لم يستنصر بالهجرة كخيار مجبول دوماً بالبطولة. كما لم يكن المسيح من قبله أن يحيا كرامته لو لم يُؤتَ شجاعة **الاغتراب** عن وطنه. كما لم يكن نوح ليفلح في تحقيق الخلاص لنفسه ولبذار الخليقة لو لم يجازف بركوب البحر والهجرة في خضم اليمّ. ولا أحد يعلم ماذا يمكن أن يصير إليه مصير سيدنا إبراهيم لو لم يستعن على قدره **بالخروج** من أرضه وأرض أبيه لينزل الأرض التي أرادها له الربّ كما تروي لنا الوصايا في سفر التكوين. كما لم يكن يوسف ليحقّق خلاصاً لا لنفسه ولا لأهله لو لم تخرجه

الأقدار من وطنه لتنزل به أرض المصريين. بالهجرة أيضاً أحيا موسى شعباً أماتته العبودية في امتثاله لأمر الربّ الذي لم يمتثل له الفرعون في وصيّة سفر الخروج القائلة: «إطلق شعبي ليعبدوني في البريّة».

وسيرة يونس أيضاً كانت هجرة. هجرة مزدوجة: فراره من النبوّة ركنها الأوّل، واعتقاله في بطن الحوت ركنها الثاني.

والخلاصة أن الدنيا ساحة قصاص، والهجرة منها هو الخلاص. وازدواج المعنى في كلمة التكوين «آزجر» الدّالة على **الهجرة** من جانب، وعلى **النّبل** كقيمة أخلاقية من جهة أخرى، هو ما يَهِبُ مبدأ **الخروج** (exedus) مضموناً دينيّاً في مقابل **الاستقرار** كلعنة دنيوية.

وهو ما يعني أن **النّبل** ناموس لا يتحقّق بغير الهجرة، لأنه رديف لهذا المبدأ بنفس القدْر الذي صارت فيه النبوّة اسماً آخر لهذا المبدأ الأخلاقي الإلهيّ.

ولهذا فإن الأنبياء ما هم في حقيقتهم النهائية سوى قرابين تسعى في الأرض انتظاراً ليوم الخلاص الذي ستساق فيه إلى المذبح. وهي لا ترى في هذا الطقس نكبةً، بل **عرساً**. لأن الخروج من بيت الدنيا هو خروج من بيت النوح، والخروج من بيت النوح أفضل من البقاء في ساحة الدنيا، لأن يوم الممات أفضل من يوم الميلاد (سفر الجامعة). وهو يوم عيد لأنه يوم **تحرّر**.

ولهذا فإن الأنبياء، ككل المهاجرين (لأن المهاجر حسب لسان التكوين أيضاً نبيّ)، ملّة لا تموت لأنها ملّة أمواتٍ بسليقة النبوّة التي لا ترتضي بغير التضحية ديناً. ملّةٌ لا تموت لأنها بالهجرة أُمّة مغتربة. مغتربة بالروح عن الجسد لا العكس ليقينها بأن الروح هي التي تُحيي، أمّا الجسد فهو الحرف الذي يُميت (القدّيس بولس).

المهاجر أخيراً نبيّ حتى لو لم يكن نبيّاً. المهاجر لا ينقذ نفسه بالهجرة بقدر ما ينقذ الأغيار بالهجرة. لأن الإنسان لا يغترب طلباً للسعادة، ولكن الإنسان يغترب ليؤدّي الواجب.

زل (صلّى ـ صلاة): طارقية، عربية ألمانية، بدئية

أزال (الأصل من **أزل**) هو الاسم القديم لمدينة صنعاء. وهو يعني بلغة الطوارق يستقيم بمدلولين تجريبي ومجرّد. أي بالمعنى **الحسّيّ** وكذلك **الأخلاقي**. من البُعْد الأخير (الأخلاقي) استعارت العربية مفهوم **الصلاة** كضرب من ضروب **الاستقامة الأخلاقية** عندما كان الدّين **إيماناً**، أو **سلوكاً عملياً يومياً** وليس مجرّد **ممارسة شعبرية** خالية من المضمون الأخلاقي على النحو الذي يرد في متون «**برت أم هرو**» المصرية القديمة كناموس ربوبي أُريد به **تقويم** (زل) الحياة الدنيوية.

و«**أزال**» كأقدم اسم لمدينة صنعاء مستعار في الأصل من اسم أوّل بُنَاتِها أزال بن يقطن بن عابر والد صنعاء الذي سُميت عليه تالياً كما تروي المصادر.

ونحن نعلم بالتجربة أن الأسماء، كل الأسماء سواء أكانت لأمكنة أم لإنام، لم تُطلق في العالم القديم جزافاً، أو بلا معنى. ولكنها كانت تُطلق بمدلولاتٍ غالباً ما تكتسب **الإيماء القدسي** كما دلّلنا في الجزء المعنون بـ«أوطان الأرباب» في هذا البيان.

ولهذا السبب فإن أسماء الأمكنة هي أسماء ذات **دلالة** بالضرورة، وهي دلالة **ميتافيزيقية** غالباً. ولهذا أيضاً لا يجب أن نندهش عندما نعلم أن كلمة **صنعاء** نفسها ما هي إلاّ اسم **«سنا»** المقدّس المستعار من اسم المعبود السومري **سنا** الدّال على القمر (ضياء القمر)، والمركّب من سين الربوبية (من خلال مدلول الكلمة كجوهر لكل شيء)، ثم نون الألوهة، وهي أيضاً نون الإضافة أو، بالأصحّ، نون **الملكيّة** المستمدّة أساساً من مبدأ **الامتلاك** (لأن الربوبية وحدها **تملك**) فصارت هذه النون **كملكية** قريناً شرعياً للربوبية **كصاحب مُلك**.

أمّا **صنعاء** فالصاد في الكلمة إبدال شائع من السين، والعين بمثابة همزة دائماً في العربية، والأصل في الكلمة هو: **«سنا»** التي تعني بلغة التكوين حرفياً معنى: **«مولانا»**. وهي مدينة فرعونية في وادي النيل ما زالت تحمل ذات الاسم إلى اليوم، وهي أيضاً القرين الشرعي لصحراء **«سيناء»** التي لم يطلق عليها هذا الاسم إلاّ **لهويتها الطبيعية** كواحة تسبح في فيوض **الشمس**، ذلك المعبود الذي أطلق عليه لسان التكوين اسم السين مجرّدةً بوصفه **جوهراً** أيضاً، وذلك قبل أن يطلق عليه اللسان المصري اسماً ربوبياً آخر ما يزال سارياً إلى اليوم هو: «رغ» (رو) الدال على **القدمة**، وقبل أن تستعير ألسنة أمم أخرى (كالعبرانيين والعرب واليونانيين) من لسان البدايات للشمس اسماً بدئياً آخر هو **«إل»** الدّال على **النور** كرديف آخر للربوبية.

ويبدو أن «زل» (الاستقامة) مستعارة من مدلول **آزّال** الذي يعني بلغة الطوارق **أيضاً الركض**. وهي مزاوجة بين الفعلين لن تخلو من طرافة إذا تأمّلناها من زاوية الحياة العملية التي تقرّ بوجوب الالتزام **بالصراط المستقيم** (زال) عند العدو (آزّال) لسببٍ بسيط وهو أننا لن ندرك أي مكان إذا لم نستقم في عَدْوِنا، بل سوف نعود على أعقابنا عملياً، أو نبقى سجناء ذات المكان على نحوٍ أو آخر.

منطق العقل التكويني في معالجة المفاهيم قد يبدو لنا اليوم **طفولياً**، ولكننا لا بدّ أن نقرّ بضرورة هذه البساطة في تلك الأزمنة الموغلة في القدم لعدّة أسباب أهمّها شحّ اللغة الحديثة العهد بمغامرة الوجود أوّلاً، واستعصاء التعبير عن المفاهيم المجرّدة بأدوات تعبيرية حسيّة ثانياً.

ولهذا السبب لا يجب أن نستنكر مضي هذا العقل في لعبته الطفولية التي يجب أن نعترف لها بالدهاء في النهاية عندما تنعت فعل **الزّلل** (زل) بذات الاسم المستعار من لسان البدء **سللت** كما يجري على لسان الطوارق بمعنى **الزلل** أيضاً (التاء في الكلمة علامة تأنيث، واللاّم الثانية تكرار من الأولى كما في الكلمة العربية تماماً). كأنّ عقل التكوين بهذه الألفاظ يريد أن ينقل لنا رسالة تقول فحواها أن **نتيجة** الجري (آزّال) هو **الزّلل** (سلل) لأن السين في الكلمة إبدال من الزاي. ومبدأ **النتيجة** هنا في غاية الأهمية بالنسبة لعقل التكوين ليقين ميتافيزيقي بإمكان انتهاء الفعل في

النتيجة إلى ضدّه، لأن الاستقامة (زل) في العَذْوِ (ازّال) قد تنتهي إلى السقوط المعبّر عنه بالزلل (سلل). والتغنّي بالنزعة الضديّة التي ألِفْناها في أساليب العقل البدئي هي مديح شرعي لمبدأ الجدل كما لمسنا مراراً في هذا البيان. وليس على العقل الهيراقليطي أو الهيغلي أن يتباهيا باكتشاف ناموسه بقدر ما عليهما أن يعترفا للعقل التكويني بتأسيسه مبثوثاً في شرايين اللغة البدئية.

وكلمة «Zahl» بالألمانية (زال) تعني رقم، كما تعني في حال الفعل Zahlen (الـ en زائدة): يدفع في معنى دفع المال، أو تقديمه. وهي استعارة من «زال» بمدلول الاستقامة البدئية، لأن مبدأ الدفع ليس سوى حركة مدّ اليد إلى الأمام، أي حركة استقامة (زل) في حقيقتها على المستوى العملي المستعار من مملكة الحسّ الذي استخدمه العقل البدْئي في نحت مفهوم مجرّد مستمدّ أصلاً من الامتداد (Zahl) ليمثّل الاستقامة الأخلاقية في بعدها اللاهوتي (أي الصلاة).

وجذر «زل» في لغة الطوارق البدئية يعني أيضاً لحن من لحون الغناء يوم كانت هذه اللحون تراتيلاً، أو ابتهالات دينية في منشأها الأصلي. أي أنّها ضرب من ضروب الصلوات الموجّهة إلى الربّ وليست طرباً أو نشوةً حسيّة كما هي عليه اليوم. أي أن الرسالة التكوينية تقول أن اللحن (زل) دعم من دعامات الاستقامة أو هي بالأصح رديف لها لا لأنها تشترك معها في الاسم فحسب، ولكن لأنها جوهر هذه الاستقامة التي نسمّيها بلغة اليوم صلاة.

وهذا الاكتشاف بمثابة كنز ينبغي أن يستوقفنا.

فثمّ وصيّة تجري على لسان الطوارق استعارةً من معجم الناموس البدئي تقول: «أَسَنُّ من «**تبكات**»، ومن «**آلِيون**». وهو ما تعني ترجمته حرفياً: «أكبر سنّاً من شجرة السدر ومن لحون «آليون».

وهو مثل يقال تعبيراً عن المغالاة في **الهرم** ببعديه الروحي والزماني. و«**تبكات**» هي شجرة السدر المقدّسة المرادفة لمعنى **الإثم** في الكلمة اللاتينية peccatum المستعملة في لسان الطوارق بذات المعنى، لأن التاء الأولى والأخيرة ما هي إلا علامتي تأنيث، والأصل في الكلمة هو «**بكّا**». وقد تناولناها بتحليل مستفيض في الجزء الأول من «ملحمة المفاهيم» (الخامس من «البيان»، باب peccatum). وجدير بنا أن نتأمل الآن سرّ القدمة، أو سرّ أسبقية لحون «آليون» على الكائنات بعد أن قمنا بكشف سرّ **أولوية** شجرة السدر (تبكات) في التحليل المشار إليه.

فكلمة «آليون» ما هي إلاّ جمع لكلمة **إل** الدّالة على **الوجود** أو مبدأ **المِلْكية** في معناها الحرفي، ولكنّها تعني **الربوبية** من خلال دلالتها المستوعبة ضمنياً لكلا المدلولين السالفين. لأن الربّ وحده **المالك** من ناحية، وهو وحده **صاحب الوجود** من ناحية ثانية. وقد استمدّ المدلولان السابقان شرعية انتمائهما إلى محراب أسماء الله الحسنى من هذا المنطلق.

ولهذا فإن معنى كلمة «آليون» (إل في حال المفرد) الدّالة على تلك الألحان الشجنية الحزينة التي توارثتها أجيال الصحراويين منذ أقدم الأزمان، ما هي في الواقع سوى الاسم الحقيقي والحرفي لعبارة **«الإلهيات»**! هذه **الإلهيات** أو **«اللحون الإلهية»** التي لم تنشأ أساساً إلاّ كترانيم طقسية، أو **ابتهالات** موجّهة إلى الربّ إشباعاً للظمأ الخالد نحو الحرية كوطن مفقود، وتعبيراً عن إيمانٍ عميق بحقيقة الحياة كرحلة اغتراب.

ونعت هذه الوصايا بتعبير القدمة الأكثر إيغالاً في الزمان الماضي من كل قدمة إنما يعني أن هذه التراتيل لم تولد في مرحلة استرخاء، ولكن في زمن **البليّة**. بليّة الإنسان الوجودية الأولى المتمثلة في الوعي بحقيقة منفاه. وعلّ نزعة الحزن المميت التي بوسع كل من سمع لحناً من هذه اللحون هي البرهان على أن الوصيّة المبثوثة في الأغاني ليست وصية **فرح**، ولكنها وصية **نَوْح**. وهو ما يدلّل على أن الغناء في أرومته الأصلية لم يكن له أن يكون تعبيراً عن طرب في حال من الأحوال، ولكنه تعبير عن همّ. هو تعبير عن **همّ وجودي**. وهو ما يعني أيضاً أنه **همّ ديني** وضع حجر الأساس لفنّ الغناء كترياق لداء **المحنة الأولى**. ولهذا فإن الغناء هو غناء ما ظلّ تنفيساً عن همّ، أو مداواة **لحنين**، فإن عبّر عن **طرب** أو **فرحٍ** تنكّر لرسالته، واغترب عن حقيقته الأولى. لأنّ هويّة الغناء مستعارة أصلاً من **هويّة الإنسان**. وهويّة الإنسان ليست الاستقرار في رحاب الوطن، ولكن **الاغتراب** عن رحاب الوطن.

زقورت: سومرية، طارقية، بذئية

زقّورت (أو زقورة) هي **قبّة المعبد في** الديانة السومرية. وهي كلمة بدئية مركّبة من زّا الدّالة على **الكيان،** ثم قور الدّالة على **الصلابة،** والتاء علامة تأنيث، ليصبح معنى البُنية: **«كيان الصلابة»،** أو **بنيان القوّة،** وهو تعبير ذي هويّة **مجازيّة** إلى جانب حقيقة وجوده **المرئية** المعبّر عنها هنا بصفة **الصلابة،** أو **القوّة.** لأن القبّة كقمّة متسامية ليست كياناً بحضورها في المظهر فحسب، ولكنها على المستوى الديني **رسالة.** رسالة **ميتافيزيقية** قبل أن تكون رسالة **معمارية.** وعندما يخلع عليها الكهنة لقب **الصلابة،** أو **القوّة،** بمعناها الحرفي، فذلك خطاب ليس موجّهاً إلى **أهل التقوى،** أو أهل السرّ (إذا أبحنا لأنفسنا استخدام لغة التصوّف)، ولكنه نعتٌ لمخاطبة الدهماء من أهل الحرف. في حين يمضي الخطاب متستّراً على حقيقته **الباطنية،** أو الإيمائية، الموجّهة إلى الأخيار وحدهم والدّالة على البُعد **الألوهي في** العبارة. ذلك أن لغة التكوين هي التي أسّست النهج **المزدوج** في الخطاب بحيث يبدو **دنيويّاً في** العبارة، ولكنه يبقى **استسراريّاً في** الإشارة بسببٍ من طبيعته المستعارة أساساً من التجربة **الحسيّة.**

و**«زقورت»** مدينة بدئية أخرى من مدن المغرب الأقصى.

الزمن: عربية، طارقية، بدئية

الزمان تركيب من زاي الكينونة بالإضافة إلى كلمة «**إمان**» الدالة في لغة البدايات على مفهوم **النَفْس** التي كثيراً ما تتداخل مع مفهوم **الروح** في جلّ اللغات. ومدلول التركيب النهائي للغز الزمان في طوره البدْئي هو: «**كيان النفْس**»، أو «**ضفيرة الروح**».

وهو مضمون يطابق اسم هذه الأحجية (الزمان) في لغة بدئية أخرى هي الألمانية في zeit، لأن الزاي تؤدّي هنا ذات الدور الدال على **الكيان**، والتاء تأنيثية من ناحية، ولكنها دالة على معنى آخر مستعار من ربّة التأنيث (أمّ العالم) التي تعني أيضاً معنى: «**الروح**». وهو مدلول نابع من وظيفة الربّة (تانيت) **كمبدعة** للعالم حسب الأساطير الكوسموغونية سواء عند أهل الصحراء الكبرى، أو قدماء المصريين، أو السومريين. وهكذا يصير التركيب الألماني الدّال على لغز الزمان هو: «**كيان الروح**» الذي يرادف المعنى المبثوث في العربية حرفياً. وهو تعبير جدير بأن يصير عنواناً لهذا المبدأ الغامض الذي نسميه زماناً، لأن البساطة العبقرية التي تسم عقل التكوين هي التي ارتأت أن تقرن الزمان بالروح ليقينها بأن اللّغز لا يُفسّر إلاّ باللغز، والطلسم لا ينفكّ إلا بطلسم آخر، كما لا حلّ

لتجريد إلاّ بالتجريد. وهي عبارة غامضة بسبب غموض الحمولة التي تحتويها، برغم أننا لا يجب أن نستهين بإيمائها أيضاً. لأن تفسير الزمان بعبارة: «**كيان النفس**»، أو «**قمقم الروح**» لن يعني مجرّد «**وجود الزمان**»، ولكنه يؤسس مفهوم **حضوره**. وحضور الزمان، كمبدع لأحجية الروح، لن يعني بعقلية إنسان البدايات سوى **خلود الروح** في واقع الحال. لأن الزمان **قيمة**. ليس هذا وحسب ولكنه قيمة ميتافيزيقية. أي أنه **قيمة خالدة لا تبيد** ولا تفنى كالمادّة تماماً. وهذه النزعة المؤمنة **بخلود الروح**، أو المؤسّسة لمبدأ خلود الروح بالأصح، والتي يتحدّث عنها هيردوت في تاريخه عند تناوله لديانة قدماء المصريين، ما هي إلاّ استعارة من الروح البدئية التي تعطي لنفسها الحقّ في أن تطلق تعبير غامض مثل: «**كيان الروح**» أو «**قمقم النفس**» لتفسير لغز غامض هو الزمان، كأنّها تريد أن تخبرنا بسرّ مارد آخر هو الروح الذي لا يبرهن على حقيقته في الوجود من حضوره في المكان، ولكنه يستعير **خلوده** من اغترابه في بُعْد ميتافيزيقي هو الزمان. لأنّ الزمان ليس له مجرّد **كيان**، أو وعاء، ولكنه الأحجية التي **أبدعته** لأن الاحتواء المعبّر عنه هنا بكلمة **كيان** يمكن أن يعني معنى **ضفيرة**، أو **جديلة**، أو **حياكة**. أي **إبداع** الشيء من عدم الشيء بحيث يكتسب التركيب معنى: «**إبداع الروح**» كنايةً عن اسم الزمان. وعندما يقول حكيم الزمان «**تاليس**» أن أحكم شيءٍ في الوجود هو الزمان لأنه **يكشف كل شيء في الوجود** إنما يؤكّد هذه الهويّة الإعجازية لأحجية الزمان.

وهذا وحده ما يمكن أن يفسّر لنا الحديث القدسي الذي يقول: «أنا الزمان فلا تسبّوا الزمان». وهو ما يعني أن الزمان ضرب من **ربوبية**، بل هو الربوبية التي تستطيع أن **تبدع** العالم، كما تستطيع أن تكون لهذا العالم كياناً، أو قمقماً، برغم اغترابها عن حدود العالم المرئية. فمن غير الزمان، في **هويته الربوبية** هذه، يستطيع أن **يجدل**، أو يضفر (زّا)، أو بالأصح يبدع مارداً مثل **الروح** برغم تستّر هذا المارد بحُجُب المجهول؟

زَمّ: طارقية، عربية، بدئية

زَمّ تعني كتركيب ملفّق من زاي الكينونة وميم الطبيعة: **كَوَّن طبيعةً، أو لفّق طبيعةً**. وهي تحمل مدلول حَضر مبدأ مّا في **قمقم واحد**. وقد انبثقت من هذا الجذر سلسلة من الدلالات المتجاورة في المعنى في كلّ من لغة الطوارق ولغة العرب. فمن مبدأ **الزمّ** هذا الذي نجده مستخدماً بذات المعنى في كلا اللغتين ينحدر معنى **زم** (من فعل يزمي) الدال على **الحياكة** في لغة الطوارق. وكذلك فعل **يزّم** الدال على **الحزم** (حَزَم، يحزم، حزمةً) العربية والتي تعني في اللسان الأخير **الحزم** بمعنى **الانضباط** أيضاً. **ويزّم** في لغة البدء ترادف **حزمة** بالعربية (لأن الحاء إبدال من الهاء أو من الألف المهموزة وأصل الكلمة **أزّم** أو **يزّم** أيضاً. منها انبثقت كلمة **يزّوم** الطارقية البدئية الدالة على **الصيام** الذي لن يعني سوى مبدأ **الحصر** أو **التضييق** الذي استعارت منه لغة التكوين كل هذه الأفعال.

من هذا المبدأ انبثقت طائفة من المدلولات الثرية في كلا اللغتين مثل: **زمزم** (كتكرار لاسم زم)، أو **زمزمية** (لأنها **تزمّ** الماء أو **تحصره** في جوفها)، أو **زمام** كضربٍ آخر من ضروب **التضييق**. وفي لسان الطوارق «**يَزْمَ**» تعني أيضاً **يعتصر**.

سين الجوهر

(S)

السين في لسان البدء تعبير عن أي حمولة معنوية ذات **بُعْد جوهري**. أي أنها عكس الزاي كحرف ساكن حامل لكل دلالة ذات **بُعْد مظهري** كما حلّلنا في الباب السالف.

من هذا المنطلق فإن السين (أو sa كما تُنطق في لسان التكوين) ليس غريباً أن تعني **الإنسان** قبل كل شيء كما هو الحال في لسان الطوارق وكذلك لسان مصر القديمة؛ لأن الإنسان هو أول حرف في **أبجدية الجوهر** لاحتضانه **للقيمة** أوّلاً، وحمله لرسالة **المعرفة** ثانياً. هذه المعرفة التي شاء لسان البدايات أن يجعلها رديفاً شرعياً لمبدأ الإنسانية عندما أطلق عليها ذات الاسم الذي وسّم به مجهولاً اسمه الإنسان وهو السين (sa). ونحن نعلم أن كلمة **إنسان** العربية إنما هي مغالاة من كلمة أصلية هي **إنس**.

وإنس هي تركيب بدئي من نون الإضافة أو الملكية المرادفة في عربية اليوم لكلمة: «**ذو**». وهي نون كانت مستخدمة في العربية الأقدم ولكنها اغتربت عن اللغة فيما بعد كما يؤكد بعض الباحثين. أمّا السين فهي تحمل ذات الدلالة المعبّر عنها في لغتي طوارق اليوم ومصريي الأمس، أي **الجوهر**، أو **الباطن** إذا أجزنا لأنفسنا استخدام لغة أهل التصوّف.

من هنا نكتشف أن كلمة عربية مركّبة من النون والسين (إنس) ما هي إلاّ عبارة تقول ترجمتها: **«ذو الجوهر»** أو **«ذو الباطن»**، **أو «ذو المعرفة»** على حدّ سواء كمحاولة بطولية من عقل البدايات لإيجاد تعريف لهذه الأحجية المذهلة التي تدب على قدمين حاملةً على أزرها **رسالة الوجود**، وفي قلبها يتخفّى طلسم الميتافيزيقا.

ولكن عقل التكوين لم يكتفِ بإطلاق اسم السين على الإنسان أو على المعرفة كرديف منطقي لحقيقة الإنسان، ولكنه أطلق هذا الحرف الساكن البسيط على طائفة أخرى من **الألغاز الوجودية** التي رآها أقرب ما تكون إلى مدلول هذين الاسمين المترادفين المتمثّلين في **الإنسان** من جهة وفي **العرفان** من جهة ثانية.

فكلمة **ست** التي ترد في المتون المصرية **كهوية للشيطان** ما هي إلاّ ذات السين الحاملة لمبدأ **الجوهر** مضافاً إليها تاء التأنيث.

وأحسب أن عقل التكوين لم يورثنا هذه الإضافة الغامضة ليتباهى أمامنا بمواهبه في إتقان فنون الجدل، ولكن لينقل للأجيال رسالة تقول أن **الشيطان** أيضاً مبدأ رديف **للإنسان**، لأنه لا ينتمي إلى دنيا الكيان المعبّر عنه بحرف الزاي، ولكنه **قيمة** تنتمي إلى **ذات العالم** الذي ينتمي إليه الإنسان. أي أنه أيضاً **جوهر**.

وهذا يفسّر لنا **حميمية الصلة** بين هذين القطبين (الإنسان والشيطان) برغم أنها صلة **سلبية**، لأن المنطق يقول أن لا معنى لوجود الشيطان لولا وجود الإنسان، كما لا معنى لوجود الإنسان

لولا وجود الشيطان. لأن ما يهب الوجود **القيمة** ليس **القران**، ولكنه **الاختلاف**. ليس **الائتلاف**، ولكنه **الاغتراب** عن الائتلاف. وهو ما يعني أخيراً أن قاسمهما المشترك الأعظم هو: **الجوهر**، أو بعبارة أخرى الوجود المشترك في بُعْد ميتافيزيقي اسمه **الجوهر**.

ولكن ملامح اللغز لن تتضح ما لم يقطع بنا عقل التكوين شوطاً أبعد في رحلة تأسيس المفاهيم عندما يضيف قريناً آخر إلى خشبة المسرحية فيطلق اسم **ست** على مبدأ ميتافيزيقي آخر أكثر غموضاً وأخطر دوراً في لعبة الوجود ألا وهو **المرأة** أو مبدأ **الأنوثة** عموماً نجده متداولاً في لسان مصر القديمة ولسان الطوارق (لأن السين الدالة على مبدأ عام هو الجوهر والتي تعنون إمام هذا الجوهر ألا وهو **الإنسان** لا بد أن تدل على **المرأة** أيضاً إذا أضفنا للسين حرف التاء الدال على مبدأ التأنيث). والمثير أن اسم **المرأة** (ست) إنما يرد في معجم البدايات كرديف حرفي لاسم **الشيطان** (ست). كأن عقل التكوين تعمّد بهذا الإيماء أن ينقل لنا وصية تلغي **الفرق** بين هذين الاسمين لا كوسْمَيْن في حروف اللّغة ولكن في **القيمة** أيضاً. أي أننا إذا سلّمنا بأن وجود الإنسان (sa) بوجود الشيطان (st) رهين **من حيث المبدأ**، فإن وجود الشيطان (st) **هو ذاته** وجود المرأة (st). وهي وصية لا تحمل إدانة للضلع المستظهر من قفص آدم بقدر ما تحمل إدانة لمبدأ **التثنية** التي هي خروج عن مبدأ **الأحدية** الدّال على الربوبية.

وهو إيماء نجد صدى ثريّ له في المتون المقدّسة (سفر

التكوين) من خلال الطرد من الفردوس الناتج عن **الحلف الآثم** الموقّع بين الشيطان والمرأة المتمثّل في **الإغواء** الذي اقترف الإنسان بموجبه خطيئته الأولى التي صارت سبباً للعنة الاغتراب.

وللبرهنة على ذلك يكفي أن نستنطق معجم التكوين في مرحلة بناء المفاهيم لنجد أن اسم **الحيّة** التي ترد في سفر التكوين **ككيان تخفّى في جوفه الشيطان** لإغواء خليلة الإنسان (**حواء** التي ليست سوى الاسم ذاته لكلمة حيّة، وليسا معاً سوى الاسم ذاته لكلمة **حياة**) ما هي سوى الاسم ذاته الدال على الشيطان وهو **ست**، سواء في لسان الطوارق أو لسان أهل مصر القدماء، التي تنطق أيضاً «**شت**» (كإبدال شائع بين السين والشين) أو «**شظ**» (كإبدال شائع آخر بين التاء والظاء).

ليس هذا فحسب، ولكن عقل التكوين زجّ باسم آخر إلى الحلبة حاملاً لذات الأحرف ليكون قريناً للأسماء السالفة كلها تأكيداً على صلته الحميمة بالمبادىء السابقة ألا وهو **الشر** (= شظ أو شت = ست). هذا الشرّ الناجم على ما يبدو من لعنة **الازدواج**، أو **التثنية**، كإثم أخرج الإنسان من نعيم الروح (الربوبية) وزجّ به في ساحة العبودية كرديفٍ لمبدأ آخر رآه دهاة البدايات قريناً شرعياً لهذه المبادىء كلّها ألا وهو **الليل** (أو الظلمات إجمالاً) بوصفه **جوهراً مجهولاً** يسبب العماء للبصيرة قبل البصر.

وكان عقل التكوين لا بدّ أن يطلق اسم «**شت**» (أو ست من خلال **شظ**) على **النّار** أيضاً، لا لأن سجية الشيطان **سجية نارية**

فحسب، ولكن لأن النار **مبدأ تكويني** أسهم في وضع لبنة الوجود، إلى جانب الماء، حسب نظرية كاهن بدئي هو هيراقليط.

ويبدو أن هذا الاسم (ست) ليس اسماً فحسب، ولكنه **وَسْمٌ، أو علامة فارقة، أو وَصْمَة** لصيقة بكلّ ما له صلة **بإمام التثنية** (ست)؛ لأننا نكتشف أن عقل البدايات أبى إلا أن يطبع هذا الختم الآثم (ست) على جبين حيوان كان دائماً قريناً لصاحب الشرور وهو **الحمار** الذي نجد تحريماً صارماً على صورته سواء في آثار الصحراء الكبرى الصخرية أو في نقوش مصر القديمة.

وعلّ أكثر هذه المترادفات إثارةً هو اسم «**ست**» الدّال على **القَسَم**، أو على **الحلف** بكلمة أدق الذي يستخدمه عقل التكوين كقرين لصاحب الظلمات (ست).

نجد **الحلْف** مبدأ مستهجناً في كلّ ديانات الوحي تقريباً.

ليس هذا فحسب، ولكننا نلاحظ **فزعاً ميتافيزيقياً** من النطق (مجرد النطق) باسم الربّ عند **الحلْف كامناً في روح لا أهل التقوى وحدهم، ولكن في روح كل صاحب إيمان، بل في روح كل إنسان تقريباً. وليس أدلّ على ذلك من إقدام الأمم على إجازة التشريع الذي يُلزم كل من أخذ على عاتقه تولي أمر الناس، أو أية مسئولية جماعية تأدية ما يسمّى في اللغة الدنيوية: اليمين القانوني**، أو القَسَم، الذي يحمل في اللغة الدينية معنى **الحَلْف**.

لا أحسب أن الفزع الميتافيزيقي الذي يستولي على صاحب

الحلْف كامناً في الخوف من **القصاص**، ولكنه يقيناً **شفرة منسيّة** في باطن كل إنسان ذات جذور ترجع إلى عهد التكوين عندما أدّى **الحِلْف** الموقّع بين ست (الشيطان) **والمرأة** (ست) إلى **خيانة الحرية** المعبّر عنها في المتون المقدّسة بشقّ عصا الطاعة على إرادة الربّ.

ومجهول هذا الطلسم سوف يتكشّف بوضوح أشدّ عندما نتأمّل كلمة **حِلْف** الدّالة على **الميثاق** في العربية بالمقارنة مع كلمة **حَلْف** الدّالة على **القَسَم** في مدلوله التكويني لنفاجأ بأنهما ليستا سوى كلمة واحدة لفظاً ومدلولاً. وهو ما يعني أن تحريم **الحَلْف** (بسكون اللاّم وفتح الحاء) ناجم أساساً من خطيئة ذات صلة بـ«مادّة التكوين» هي **الحِلْف** (بخفض الحاء). بل هي نتيجة طبيعية لها لأنهما كلاهما خيانة **للعهد** وخروج على طاعة الربّ.

ومما يستثير الاهتمام هو هويّة كلمة peccatum اللاتينية الدّالة على **الخطيئة** والمرادفة لفظيّاً لكلمة pactio اللاتينية الدّالة على **الحِلْف** التي استعارت منها جلّ اللغات الأوربية هذا المدلول الدال **على العهد الميتافيزيقي البدئي الذي نجده في لسان بدئي كلسان الطوارق ما يزال مستخدماً بذات المعنى اللاتيني في صيغته الأولى، أي كإثم**، كما يرث **المفهوم** في صيغته الثانية (pactio) الدّالة على **الحِلْف**، لأن الأصل في كلا الكلمتين هو «pact» الدّالة في لسان التكوين على **الخطيئة** والمستعملة في لسان الشتات البدئي (الطوارق) بذات الحرف.

ويبدو أن إطلاق ذات الاسم في العربية على كلا الدلالتين إنما

ينبع من عدم الاعتراف بالعهد، أو **الحِلف** (pactio) الذي لا يُختم عليه بالقداسة الكامنة في **الخَلْف** الذي لن يعدو في حقيقته أن يكون **تحريماً** معبّراً عنه بالإثم (paccatum).

ويبدو واضحاً أن هذا **الجوهر** المعبّر عنه بالسين في ناموس العقل البدئي هو **جوهر سلبي** من حيث **المبدأ**. وسلبيته إنما تنبع، على ما يبدو، من **سليقته الآثمة** المعبّر عنها في ديانات الوحي بذلك **الخيار الجسيم** الذي نسمّيه بلغة اليوم حريةً. هذه الحرية الناجمة عن تمرّد جسور تمثّل في التقام **ثمرة الزقّوم**، وكانت نتيجة هذه الحركة التخلّي عن **حلف مقدّس مع الرّب**، والدخول في حلف آخر مناهض تمثّل في الصفقة مع **عدوّ الربّ** فخسر **صاحب الجوهر** (الإنسان) غنيمة اسمها السكينة (عبّرت عنها الديانات السماوية باسم الفردوس) لينال بالمقابل وسوسة أبدية ما لبثت أن تمثّلت في **جرثومة الحرية** التي صارت عنواناً لرحلة هذا اللغز المسمّى إنساناً.

لهذا السبب الجذري صار اسم السين **كنواة لكل مبدأ وجودي** وسْماً دالاً على **الخطيئة** في عقل التكوين تبنته الكتب المقدسة في مراحل تاريخية تالية حرفياً ليصير حجر الزاوية في عقيدة الاغتراب الإنساني عن الحقيقة الإلهية.

ولهذا السبب أيضاً أطلق عقل التكوين هذا الحرف الساكن المذهل على طائفة من الأبعاد الوجودية التي تترادف أحياناً وتتناقض أحياناً أخرى. فالسين اسم **الإنسان** أولاً انطلاقاً من كونه

جوهراً، والسين ثانياً اسم العرفان انطلاقاً من كون العرفان **قيمة** قرينة للإنسان. والسين ثالثاً اسم **النار** باعتبار النار أيضاً كجذوة خفية **جوهراً مستتراً**. والسين رابعاً **شيطان** باعتبار الشيطان **قيمة** برغم أنها قيمة **آثمة**. والسين خامساً **امرأة** لأن المرأة **جوهر** (كضلع مستقطع من صدر قرينها الرجل) وبوصفها أيضاً **شريك** في الصفقة الخطرة مع إمام الظلمات، هذه الشراكة التي أدّت إلى **الشِرْك** في النتيجة.

والسين سادساً **ظلمة** بوصف الظلمة نقيض لمبدأ ربوبي هو النور. والسين سابعاً **حمار** لأن هذا الحيوان هو مطيّة رب **الظلمات**.

والمبادىء السّبع السالفة يمكن إجمالها تحت لواء اسم واحد كبير أطلق عليه عقل البدايات أيضاً اسم السين ألا وهو **الشر**! لأن **الشر** هو القاسم المشترك الأعظم بين هذه المفاهيم مجتمعة.

ففي لغة بدئية مثل الأرلندية القديمة يُطلق اسم **ست** على **الأذى** أو على كل مبدأ **شرير** من خلال كلمة seith. وهي تشترك مع اللسان الهند الأوربي الذي ينعت **الشر** بكلمة مماثلة هي sceath، وهما لفظتان لا تشتركان في المضمون فحسب، ولكن في الأحرف وكذلك في النطق. ليس هذا فحسب ولكنهما تشتركان مع لسان بدئي آخر هو اليونانية القديمة التي تطلق اسم a-scethes على المبدأ الذي ينفي **الشر** (لأن حرف الـ a في اليونانية أداة نفي).

أمّا فيما يتعلق بربّ هذا الشر المتمثل في ست كمعبود للقبائل الصحراوية القادمة من الشرق والمسماة تاريخياً الهكسوس حاملةً في جعبتها سرّ الأخلاط المعدنية فلا بدّ أن تنصّب هذه العقيدة المعدنية على نفسها ست معبوداً إيماناً من كهنة هذه القبائل بتفوّق عنصر النار على عنصر الماء الذي يمثّله أوزوريس. ولهذا فإن الأخير لا بد أن يلاقي مصرعه على يد قرينه (أو شقيقه كما تقول الأسطورة) ست، لأن المبدأ الناري انتصر على المبدأ المائي من خلال كارثة **التصحّر** التي زحزحت الأمم عن أوطانها وأسست لأوّل دياسبورا في تاريخ الأرض.

ليس هذا فحسب، ولكن لا بدّ للكهنة أن يفسحوا المجال للسحرة كي يتولّوا الأمر نيابةً عنهم. لأن **المعدن السحري** الذي حملوه معهم في رحلتهم إلى وادي النيل والذي لم يكن ليكون معدناً سحرياً أصلاً لو لم تصهره **أعجوبة النار**، هذا المعدن لا بدّ أن يزعزع **الحجر** ويطيح بصروحه بالطريقة نفسها المعبّر عنها رمزياً في الكتب المقدّسة، بابتلاع **عصا موسى** لحيّات سحرة الفرعون واضعةً بذلك نهاية **لعصر الحجر** في مقابل بداية **عصر المعدن**.

ولهذا فإن **الحمار** كاسم مرادف لإله الظلمات وإله النار معاً «ست» الذي يقول بلوتارخ في «إيزيس وأوزوريس» أن «ست» فرّ على متنه إلى أورشليم (القدس) لم يكن في حقيقته مجرّد مطيّة استعارت اسمها من اسم صاحبها، ولكنها كانت المطيّة التي تستحق أن تكون قريناً لصاحبها لا في الاسم وحسب، ولكنها

تستحق أن تصير له شريكاً في العبادة أيضاً، لأنّها لم تكن مجرّد **حمار**، ولكنها كانت الحمار الذي حمل على ظهره **أسفاراً**. كانت المطيّة التي حملت على ظهرها تلك **الوصايا السرّية** (كما تدل كلمة هيروغليف) التي التأمت في **متون أسفار العهد القديم**، وكان لا بدّ **لحضارة الحجر** أن تزول بعد أن سُلِبت منها **روحها** المتمثلة في هذه الوصايا.

وإذا كان يوسف فلافيوس ينكر على العبرانيين **عبادة الحمار**، إلاّ أن بلوتارخ يعود فيؤكّدها في «أحاديث المائدة» مرجعاً سببها إلى الشبه بين حيوان **ست** هذا وبين حيوان منكر في الثقافة البدئية هو **الأرنب**. فهذان الحيوانان لا يتشابهان في الجزم فحسب (لأن الأرنب ما هي إلاّ الأنموذج المصغّر من الحمار في الحجم)، ولكن في خصال جوهرية مثل **الشهوة** التي تعتبر في ديانة التكوين مبدأ مستهجناً بل **شريراً** (ست). أمّا **تاسيتوس** فيرجع حقيقتها إلى الدساتير الموسوية بسبب هداية الحمار لشتات العبرانيين زمن تيه سيناء إلى منابع المياه بعد أن كاد الشتات يهلك بسبب العطش.

وما زال شتات القبيلة البدئية المتبقّي على قيد الحياة (الطوارق) يتحسّر على فقدان هذه الوصايا التي فرّ بها **ست** أسفاراً على ظهر الحمار (ست أيضاً) من خلال مرثيّتهم الخالدة للناموس المفقود «آنهي» الذي تقول أساطيرهم أن السيل جرفه في الزمان القديم. هذا السيل الذي لم يكن يوماً سوى نهر النيل الذي استقرّ على ضفافه شقّ الدياسبورا البدئية الذي اتجه شرقاً، وابتنى لنفسه

بوصايا الروح هذه **حضارة الروح** حول السيل (النهر)، ولكن بعيداً عن البحر المجاور. وهو أمر جدير بأن يدهش أولي الألباب لأنه يقدّم الدليل على أن حضارة مصر القديمة حضارة **صحراوية** أوّلاً وأخيراً. وهو أيضاً التفسير الحقيقي لعبارة هيردوت القائلة بأن مصر **هبة النيل** وليست هبة البحر برغم أن هذه البلاد تحتلّ من سواحل المتوسط نصيب الأسد بعد ليبيا.

ويقين أمّة الصحراء (الطوارق) بأن **وصيتهم الروحية** ذهبت مع مياه السيل (أي النهر، لأن النهر ليس سوى سيل خالد، كما أن السيل ليس سوى نهر وقتي قابل للزوال)، لأن حضارتهم التي قامت بفضل الاستقرار إنما زالت بسبب لعنة الاستقرار، في حين أنقذ **الترحال** وصية القبيلة البدئية من الزوال؛ لأن لغة التكوين التي أسست المفاهيم الدينية والوجودية لم يكن لها أن تتكشّف للوجود أخيراً لو لم تجر على لسان شتات القبيلة التكوينية المتمثل في طوارق الصحراء الكبرى.

أمّا إذا تأمّلنا حقيقة الصلة بين الحمار وقرينته الأرنب التي يرى بلوتارخ في شبههما سرّ عبادة العبرانيين للحمار، فإن استنطاقاً عابراً لتراث الطوارق كفيل بأن يكشف لنا حلقة أخرى في هذه العقيدة.

ذلك أن هذه القبيلة الصحراوية لا تتشاءم من شيء في دنيا الصحراء كما تتشاءم من الأرنب. وهو معتقد بدئي له صلة بمرحلة التكوين برغم أنه ينتمي إلى **الحقائق المنسية** في ناموس التكوين. وعلّنا نستطيع أن نستجلي حقيقته بعون جيمس فريزر في «الغصن

الذهبي» عندما يتحدث عن تطيّر القبائل البدائية بالأرنب بسبب خيانة مدبّرة اقترفتها في حقّ الإنسان يوم ألقى الربّ في فمها بوصية تبشّر هذا الإنسان بالخلود، ولكنها ذهبت لتنقل له الوصية مقلوبة بتحويل البشارة إلى نعي يحمل له الفناء!

ولهذا فإن الطوارق ما يزالون يزاوجون بين هذين المخلوقين (الحمار والأرنب) إلى هذا اليوم في تطيّرهم منهما، وفي تحريم ذكرهما قبل شروق الشمس. لا تحريم ذكر اسميهما فحسب، ولكن حظر ذكر حتى الاسم المستعار لكلّ منهما قبل شروق الشمس فيصفون الحمار باسم «وانتمزوجين» الدال على **«صاحب الأذنين»**، كما يُطلق ذات الاسم المستعار على قرينته الأرنب التي يطلقون عليها اسماً مستعاراً آخر هو: «تيمرولت» الذي يعني حرفياً: **«الجَبَانة»**.

أمّا اسم الأرنب الذي ما يزال يجول في ذاكرة القوم فهو **«تيرزازت» المجهول الهوية**، برغم أن الأسطورة تقول أنها كاهنة مُسخت حيواناً لأسباب جنسية.

وخلاصة الرسالة التي يريد عقل التكوين أن ينقلها للأجيال تقول أن **الشرّ** (ست) الذي تمثّله السين في حال التأنيث **هو عنوان العالم. هو سرّ الخلق** كما تطرحه ديانة الأوائل.

وهو ما يعني أن الوجود في حدّ ذاته شرّ، لأن بدايته شرّ، وسيرورته شرّ، ونهايته شرّ، برغم أن نهايته هذه أفضل من بدايته،

لأن يوم الممات أفضل من يوم الميلاد كما يؤكد سفر تكويني هو سفر الجامعة.

ومبدأ الشر هنا ليس نابعاً من البعد الدنيوي وحده، ولكن من البُعْد الميتافيزيقي. لأن الحياة الدنيا برمّتها رهينة بشرط **الإثم** الناجم عن خيار جسيم هو **الحرية** المتمثلة في خيار التقام ثمرة التحريم.

وليس أدلّ على ذلك من المفهوم السلبي الذي تطرحه لغة بدئية كاللغة العربية في السين كما يرد في موسوعة «لسان العرب». ففعل **أسَّ**، في هذه اللغة، يعني حرفياً **«الإفساد بين الناس»**. وعبارة: **«رجل أسّاس»** إنما تعني **رجل مفسد**. وكلمة **الأُسّ** تدل على **تزيين الكذب**. وهو أمر يحيلنا إلى هويّة الكلمة **دينيّاً**، أي إلى بُعْد السين **كشحنة إثم** لعبت دور البطولة في **تأسيس الظاهرة**، وبالتالي في وضع حجر **الأساس** لهذا الوجود.

وكلمة **أساس** هنا ترد لتأكيد الرسالة **التأسيسية** لهذه السين بوصفها كلمة منبثقة من مفهوم **التأسيس** الذي هو **التكوين** في العربية (لأن الكلمة ما هي في الأصل إلاّ **سين الفساد** (أو الاغتراب عن الحقيقة الربوبية)، وما السين الثانية سوى تكرار للأولى عهدناه في لغة التكوين كثيراً عندما يريد عقل البدايات أن **يؤكّد** على مفهوم ما، أو في الحالات التي يريد فيها أن يعبّر عن **الوفرة** المسمّاة في معجم أهل النحو **جَمْعاً**، لأن جمع أُسّ هنا هو **أسّاس**).

وفي لسان الطوارق تتردّد هذه الكلمة بهذه الصيغة بالذّات في «بوساس» التي تعني حرفياً «معاناة». وقد استعارها عقل التكوين من المفهوم المبثوث في السين (الأسّ) مكرّرةً وذلك بهدف التعبير عن المغالاة الضرورية للتدليل على سلبية الإحساس الكامن في السين كتجربة وجودية جوهرها الألم المرادف لمبدأ المعاناة (يوساس)، لأن اللاوجود إذا كان عدماً، فإن الوجود ألم، أو معاناة، وليس غنيمة في كل الأحوال.

سين (Sin): جرمانية، طارقية، مصرية، بدئية

حمولة السين **كإثم** ترد حرفياً في لغات أخرى ذات الجذر البدْئي هي اللغات الجرمانية. ففي الألمانية نجدها في كلمة Suende (الأصل في الكلمة sn، وما الدال سوى إضافة). أما في الإنجليزية فتتجلّى بوضوح أكبر عندما يوصم الإثم بكلمة Sin المرادفة للصيغة البدئية حرفاً ومعنى. ذلك أن كلمة سين في لغة الطوارق إنما تعني حرفياً: «**إثنان**». والتّثنية كما حلّلنا سالفاً هي البرهان البدْئي على **الخطيئة الأولى**.

وفي المصرية القديمة تدل كلمة سين على **الأخ**، أو **القرين**. ومبدأ الأخوّة (أو الاقتران إجمالاً) ما هو إلاّ **ازدواج**، أو **تثنية**، أي **خطيئة** أيضاً. ولمّا كانت الخطيئة تستوجب بطبيعتها **قصاصاً** فإن من حقّ عقل بدئي كالعقل الجرماني أن ينعتها باسم suehne الدّال على **العقاب**، أو **الغفران** على حدّ سواء. وهو ذات الاسم الذي أطلقه على الخطيئة **كنقيض** لمبدأ الغفران. ونحن نعلم أن تسمية الأضداد بأسماء الأضداد أسلوب شائع في مختلف اللغات، سيّما في تلك الحالات التي تكون فيها كلمة الضدّ تحمل في عبّها معنى **النتيجة**، في حين تقوم بدور **السبب** أيضاً في صيغة محرّفة قليلاً بمساعدة

حروف العلّة غالباً. فالقصاص هنا (Suehne) يحمل مدلول **الخلاص** أيضاً (أي الغفران). كما يحمل مدلول **السبب** في صيغته الأولى كـ«Suende».

وسين الجوهر، أو التّثنية، كما ترد في اللغات الجرمانية برهان آخر على **هويّة** هذه السين **الإثمية** المبدعة للعالم لحقيقتها الإثمية بالذّات، والحائكة لخيوط رحلتنا الاغترابية الناجمة عن الخروج من ملكوت الروح المسمّى في لغة ديانات الوحي **فردوساً**.

ويقيننا بهذه الحقيقة سوف يزداد عمقاً عندما نعلم أن الاسم الذي يطلقه الطوارق (كحملة لوصية العقل البدْئي) على **العرفان** (كسبب أول لمنفانا الوجودي) هو «**سان**» (Sn) هذه الكلمة الدالة في هذا اللسان على **الازدواج أيضاً**، والحاملة في الألسنة الجرمانية لمعنى **الخطيئة**، والدّالة في المصرية القديمة على **التّثنية** من خلال معنى **الشقيق**، أو القران.

كما أن كلمة **لسان** العربية ما هي إلاّ تركيب ملفّق من لام الملكية مضافاً إليها كلمة **سان** (Sn) الدالة على العرفان ليصبح المعنى: «**ذو المعرفة**»، أي: «**ذو التثنية**»، لأن اللسان هو **أداة** العرفان، أي أنه **خطيئة** باعتبار اللسان (كلغة) هو الرديف الشرعي، بل والبرهان الأول والأخير، على **الوجود** برمّته.

وعضلة اللسان في لغة الطوارق تسمّى: «**إلس**»، أي: «**ذو الجوهر**» إذا ترجمناها حرفياً.

ساو (ساهو، ساهغ):
مصرية قديمة، طارقية، بدئية

ترد كلمة «**ساو**» أو «**ساهو**» في النقوش المصرية القديمة كتعبير ديني محفوف بالغموض كما هو الحال مع جلّ مصطلحات هذه الديانة التكوينية.

وقد كافح علماء المصريات في سبيل فكّ طلسم الكلمة بالوسائل التأويلية المتاحة كعادتهم لينتهوا إلى مدلول يشير إلى وجود صلة حميمة بين «ساو» (أوساهو) كمعتقد ديني وبين ثالوث الأنجم الذي يعتقد أن أهل كهانة هذه الديانة صمّموا على منواله أهرامات الجيزة الثلاثة ليقين هؤلاء بانتماء الملّة المصرية **السلالي** إلى هذا **الوطن السماوي** تحديداً. وهي نزعة (نزعة الإصرار على الانتماء إلى رحاب السماء) نجد نظيراً لها في ثقافات أعرق أمم العالم البدئي، كما هو الحال مع عقائد الطوارق أو ديانة أهل سومر؛ وهي نزعة ليست وليدة رفض **الهويّة الأرضية** للغز الوجود فحسب، ولكن للتأكيد على **اغتراب الروح** عن وطنها السماوي، وبالتالي، عن حقيقتها الأبدية. وهي العقيدة التي كوّنت النواة التي

استنتج منها هيردوت موضوعته المرجعية التي تحدّثت عن المصريين كأوّل عقل أرضي رفض الفناء ووضع حجر الزاوية لصرح **خلود الروح**.

وعندما يطلق قدماء الطوارق على أنفسهم اسم **«إتران يت»** الدّالة في ترجمتها الحرفية على معنى: **«نجوم الربّة يَتْ»** فإنّما يعبّرون في الواقع عن ذات النزعة المزروعة في عقيدة الإنسان المصري التي تؤمن **بهويتها السماوية** ولا ترتضي بغير الانتماء إلى أنجم السّماء وطناً. وهي نزعة ورثها العبرانيون عن المصريين إلى حدّ أننا نجدها مبثوثة في أسفار العهد القديم كركن مركزي في بنيان الإيمان بالإنسان **كهوية ربوبية** ما لبثت أن انتهت إلى فكرة **الفردوس المفقود** التي توارثتها الكتب المقدّسة كلّها.

والإيمان البذئي بالسماء (أو بنجوم السماء) **كوطن مفقود** أطلقت عليه المتون المقدّسة اسم **الفردوس** لم يكن في البدايات عملاً بطولياً لتفسير المغامرة الوجودية، بقدر ما كان **وسوسةً** في وجدان الكهنة، قبل أن ينقلب مع تدفق الزمان **تمتمةً** في ألسنة الشعراء (الذين لم يكونوا في ذلك الزمان سوى أولئك الكهنة أنفسهم). هذه التمتمة لا بدّ أن تتحوّل **ترنيمة طقسية**. هذه الترنيمة الطقسية لا بدّ أن تتمخّض لتلد في نهاية المطاف ذلك النشيد المجبول بالوجع والمغسول بالغموض الذي نسمّيه بلغة اليوم **حنيناً**. صار الشعر صلاة الإنسان لأنه اللغة الأكثر استجابة لولولة الروح، والأكثر إرواء للظمأ إلى الحقيقة الأكثر غموضاً لأن الوجود

المعبّر عنه في لسان البدايات دائماً بالميلاد) هو اللغز في رحلتها الأكثر انغلاقاً واستعصاء على الفهم. ولهذا السبب فإنّ من المنطقي أن نجد ديانة قدماء الطوارق تطلق اسم «**أساهغ**» الذي هو **أساهو**، أو **أساو** المصرية (لأن الغين كما حللنا مراراً ما هي إلاّ إبدال من الواو في اللسان البدئي) على **أناشيد الشجن** أو **أغاني الحنين ذات الروح الدينية. وهي لحون توارثتها الأجيال عن أقدم الأجيال، ووضعت لها أنساقاً صارمة تحوّلت مع الأيام ناموساً يحرّم الاجتهاد، ولا يجيز خرقه كلحن، ولا يملك الأخلاف أن يحيدوا عن أرومة اللحن المسمّاة «آزل»** التي توحّد بين معنى اللحن، ومعنى **الصلاة** من خلال مدلول أكثر أصالة في لغة التكوين هو «**الاستقامة**». والاستقامة هنا في معنى اللحن تحمل دلالة منذرة. تحمل دلالة **التابو**. تحمل التحذير بوجود **التحريم**. أي الوعيد بعدم المساس باللحن، بالتعويذة، **بالصلاة** (آزل)، **بالاستقامة الأخلاقية**. لأن اللحن في الأصل ليس أغنية، ولكنه **وصيّة**. **أساهغ** (أساهو) هنا ليس **مجرّد** وصيّة، ولكنه **وصية دينية**. وصية دينية تعبّر عن **الفَقْد**، عن الاغتراب عن وطن الربّ. ولهذا السبب فإن الأغنية نشيد حنين منسوج من نشيج الروح في بحثها عن هويّتها المفقودة.

ولهذا السبب أيضاً نجد طوارق آير يطلقون اسم **ساهو** على **المربد** الذي ترابط فيه الغزلان عادةً لا بوصفه مأوى، ولكن باعتباره ضرباً من **وطن**. لأن حتّى الغزلان التي تهيم في البرية، وتعتنق ناموس الحرية، تعاني الحنين إلى المكان الذي **أَلِفَه**،

فتذهب لتركن إليه كما يركن الطير إلى العشّ، وكما يركن الوليد إلى حضن الأم.

أمّا إذا شئنا أن نستجلي دلالة الاسم (ساو، ساهو) في بُنْيته البدئية فسوف نكتشف أنه تركيب ملفّق من سين الجوهر مضافاً لها الواو الدّالة على **الميلاد** لنجد في الاسم جملةً تقول: **المشحون بالميلاد**، أو في حال الاعتراف بحرف الهاء السابق على الواو: **جوهر بيت الميلاد**.

وهي عبارة تؤكّد على **الطبيعة الميتافيزيقية** لذلك المكان المسمّى في لغتنا اليوم **وطناً**. ويبدو أن ما يضفي عليه هذه الطبيعة الميتافيزيقية ليس حدود المكان، ولكن **القداسة** الكامنة في مبدأ الحياة المعبّر عنها في لسان التكوين **بالميلاد**.

ويبدو أن حرصنا اليوم على أن نستعيد جثمان الفقيد من أبعد الأركان لنواريه التراب في **مسقط الرأس** ناجم بالأساس من هذا الإيمان البدئي الذي لا يرى في مسقط الرأس مجرّد ركن من مكان، أو خشبة في مسرح الدنيا، ولكن **أرض الربّ**، **أي حَرَماً** لا يختلف عن المعبد المشيّد لتأدية الصلاة. لأن مسقط الرأس يكفّ في هذه الحال عن كونه مكاناً ويغترب عن طبيعته الأرضية ليصير **علاقة**. ليس علاقة فحسب، ولكن علاقة **حميمة**، أي **سماوية**. هذه العلاقة (في بُعْدها الجديد) هي التي تضفي عليه مسوح القداسة ليصير **مفهوماً**، أي **وطناً**.

سرّ: عربية، طارقية، بدئية

السّرّ في العربية **كلّ ما استخفى من أمر**، أو **استغلق**. ومن مبدأ **الاستغلاق** هذا نالت الكلمة مدلولها **كمفهوم**. ذلك أن معنى كلمة **سرّ** في لسان الطوارق هو **الغطاء**. أو مبدأ **الإغلاق** إجمالاً. أمّا إذا اعتمدناها كمفردة في تركيب بدئي يستوجب التفكيك فسوف نجد أن السين في الجملة دلالة **استخفاء** أيضاً من خلال طبيعتها الدّالة على **الجوهر** (هذا الجوهر الذي سيخون حقيقته الميتافيزيقية إذا كفّ عن استخفائه واعتنق الاستظهار). وهو ما يعني أن هذه السين مؤهّلة في حد ذاتها لأن تعبّر عن مدلول كلمة سرّ حتى لو لم نضف إليها حرف الراء ككلمة دالة على **القدمة**، لأن الجوهر **مبدأ مجهول** في كل حال، وكامن **في ذاته** دوماً إذا استخدمنا لغة عماويل كانت.

ولهذا فإن كلمة سرّ مترجمةً من مفهومها البدئي سوف تصير: «**جوهر قديم**». أو **قيمة سابقة** بعبارة أخرى. أو **المجهول الأوّلي** إذا مضينا شوطاً أبعد في استجلاء أبعاد التركيب **كمفهوم** لا كمجرّد مدلول.

والطريف حقّاً هو أن المعنى لن يختلف فيما لو قمنا باستبدال

السين زاياً كتعاقب شائع بين هذين الحرفين لا يمليه نطقهما فحسب، ولكن تفرضه جدليّتهما أيضاً كعلامتين تحوي إحداهما (السين) **خطاب الجوهر**، وتحمل ثانيهما (الزاي) **خطاب المظهر** كما بيّنا في المتن الذي سلف.

فكلمة **زر** في لسان الطوارق البدئي تحمل مدلول **السلفية**، وتعني حرفياً **سابق**، أو أي مبدأ **متقدّم في الزمان أو في المكان**. ولهذا يقال في هذه اللغة **مزر** (بإضافة ميم التسمية) كدليل على **القدمة** أو **التقدّم** على السواء. فزعيم القوم يسمّى **مزر** لأنه يحمل الراية **ويتقدّم** القبيلة عقلاً أو سيفاً على حدّ سواء. تقابله في العربية صفة مماثلة تجسّد ذات المفهوم في كلمة **مزر** هي نعت: **«الأول»** كما يقدّمه لنا صاحب موسوعة لسان العرب.

وفي اللغات الأوربية استعارة لذات الكلمة البدئية بذات المعنى في كلمة moderator التي تدل على **التقديم** (مقدّم برنامج أو مقدّم كتاب أو كاتب الكتاب)، وذلك بإبدال شائع بين الدال والزاي (لأن الأصل في الكلمة هو moder). من moder هذه انبثقت كلمة **مدير** العربية التي لا تعبّر عن مفهوم **الإدارة** كما نعتقد بقدر ما تؤكّد المفهوم البدْئي الكامن في مبدأ **التقديم** كفعل **أسبق** في الكينونة من فعل الإدارة، لأننا لا نستطيع أن ندير شيئاً لا وجود له. وهو ما يعني هنا أن **السبق** المقصود في كلمة بدئية كـ **مزر** يحمل **مدلولاً وجودياً** وليس مجرّد فوز بقصب السبق في احتلال حيّز في حدود المكان أو الزمان.

هذا البُعْد التكويني في معنى مزر مبثوث في الجمع الأوّلي بين بُعْدين جدليين هما **المكان والزمان**. والإيحاء الذي تطرحه اللغة البدئية للتعبير عن مفهوم **السبق** هنا إيحاء ميتافيزيقي يريد التعبير عن **هويّة الوجود المجهولة** في طينتها البدْئية بوسيلة اللغة العاجزة بسليقتها كلغة عن التعبير عن **السرّ** الذي لا تملك التعبير عنه إلاّ اللغة الربوبية لا اللغة البشرية. ولهذا فإن السرّ (كمادّة سابقة مجهولة الهوية) مجال لا يمكن اكتشاف حقيقته بالكلمات، ولكن بالإيماء. بالرمز. بالطقس. بالرقص. بالغناء. الغناء هو اللسان الديني الأكثر كفاءة في استشراف الحُجُب، وتمزيق الستور عن **السرّ الأولي**. وهي كفاءة تظل حبيسة الصوت إذا لم تتطوّر في سفر مقدّس اصطلح على تسميته **وَجْداً** يحرّر القلب من الأسر، ويحقّق الصفقة التي تستبدل غنيمة العقل بسلطان الوجدان.

ولهذا فإن اسم **مصر** الذي هو في حقيقته **مزر** (الصاد استبدال من الزاي) ما هو إلا الرديف الشرعي لمبدأ الاستسرار، أو الاستخفاء، الكامن في كلمة سرّ. وعندما يجمع علماء المصريات على ترجمة اسم مصر الثاني الوارد في المصادر كـ**«كمت»** (أو تانكمت) بمعنى **السرّ** فإنما يعنون دون أن يدروا اسم مصر كـ**«مزر»** الذي تنطبق عليه هذه الدلالة أكثر مما تنطبق على اسم **«كمت»** كما سيبرهن تحليل بُنْيَة الاسم الأخير في مكان آخر من هذا البيان.

ولكن السؤال هو: ما سرّ لهفتنا إلى السرّ؟ أنهفو إلى كلّ ما

استتر لإرواء ظمأ الفضول، أم أن سطوة السرّ (أو سلطته بالأصح) علينا إنّما تكمن في هذه اللهفة الميتافيزيقية بالذّات؟

بادىء ذي بدء ينبغي التأكيد على حقيقة أن السرّ لم يكن ليكون سرّاً إلاّ لكي لا يكون، لأن رسالة الأمر الذي استتر إنما تتستّر في لهفته لأن يستظهر. لهذا السبب يقال أن غاية الاستسرار هي الاستظهار، برغم أن لا أحد يتجاسر على القول بأن غاية الاستظهار هي الاستسرار. ربما لأننا نتعمّد تجاهل سلطان النسيان وإسقاطه من الحساب. هذا السلطان الذي أوتي القدرة على تحويل ما استظهر (أو ما استعلم) إلى دائرة الاستسرار بالعبقرية ذاتها التي أوتي بها سلطان كالزمان القدرة على استجلاء ما استتر واستخراج الأسرار من أعماق المجهول.

وبرغم لهفتنا إلى فضح السرّ إلاّ أننا لا نستطيع أيضاً أن نحيا بلا سرّ. بل لا نستطيع أن نتخيّل الحياة الدنيا وهي في خلوّ من السرّ. لأنها لا تبدو ساعتئذٍ أفلاساً فحسب، ولكنها ستفقد يقيناً المعنى. ستفقد غموضها. ستفقد عمقها. ستفقد **قيمتها**. ولهذا نقول عن إنسانٍ خالٍ من السر (سواء أكان رجلاً أم امرأة) بأنه إنسان **بلا عمق**، وهو ما يعني بعبارة أخرى **إنسان بلا روح**. وهو قطعاً ذلك النموذج من الناس الذي نراه ليس جديراً بمحبّتنا، وبالتالي يستحق شفقتنا، إن لم نقل إدانتنا.

السّحر: طارقية، عربية، بذئية

لقد لمسنا دائماً في كل أجزاء هذا البيان ولع عقل التكون **بالخفاء** وكل ما يمتّ بصلة بمملكة الغموض هذه إلى حدّ نستطيع أن نقول فيه أن مبدأ المجهول تحوّل في عقل إنسان البدايات الدّين إلى ضربٍ من ضروب العقيدة الدينية.

وها هو هذا العقل المجبول بروح الكهانة يطلق نعتاً مسربلاً بمسوح الإخفاء على كلمة **سحر** التي تعني إذا ترجمناها من تركيبها البذئي: **«المشحون بالإخفاء»**، أو **الجوهر المستغلق** بترجمةٍ أدقّ.

فلماذا يُنعت السحر (كعلم كان درجةً أولى في سلّم الرحلة الدينية) بالاستخفاء أو بالجوهر المستغلق؟

في لسان العرب يطرح صاحب الموسوعة أمامنا هذا التفسير: «من السّحر **الآخذة التي تأخذ العين حتّى يُظنّ أن الأمر كما يُرى**».

وهو ما يعني بوضوح أن السّحر ليس كشفاً لمبدأ مجهول، ولكنه العكس. أي أنّه **تغييب**. تغييب لمبدأ ظاهر وتحويله إلى مبدأ **مستتر**. أي أن السحر في مجمله ما هو إلاّ عمل من قبيل **الاستسرار**. وهو ما يسمّيه صاحب اللسان المذكور في مكان آخر

من موسوعته: «**الخديعة**» برغم أنه يقول في مكان آخر كتعريف للساحر: «والساحر [هو] **العالم**».

السحر لا بدّ أن يكون **خديعة** حقاً طالما كان في حقيقته **تغريباً للواقع**، وتغييباً للحقيقة المستظهرة.

وصاحب السحر لا بدّ أن يكون **عالماً** لأن تغييب العقل بطولة لا تتحقّق بغير قدر كبير جدّاً من الشجاعة التي يروق لنا أن نسمّيها **حكمة**. والحكمة اسم لمسمّى هو **الحكيم**. والحكيم كما نعلم هو الرّديف لاسم آخر هو **الطبيب**. ذلك الكاهن الذي أوتي موهبة ممارسة بطولة **تغييبية** أخرى هي **مداواة المرضى**. هذه المداواة التي لا تتم بدون **تغريب الدّاء** بوسيلة الدواء.

ولمّا كنّا نعلم أن السحر هو **طب عالم التكوين**، والساحر هو المؤهل الوحيد للقيام بمهمّة طبيب ذلك الزمان، فإننا لن نستغرب أن نجد اسماً له دلالة في اللسان المصري القديم عندما ينعت صاحب السحر باسم: **تب**. وهي كلمة إذا أضفنا لها حروف العلّة المفقودة دائماً في لغة البدء تصبح: «**يوتب**» التي تعني بلغة الطوارق حرفياً: «**يكشف**». ولمّا كنا ما نزال نستخدم ذات التعبير (يكشف) إلى اليوم عندما نأتي على ذكر الطبيب، فإن عقل التكوين تعمّد أن ينحت **مفهوم** السحر في مبدأ الكشف أيضاً إلى جانب **الإخفاء**، فلا نملك إلا أن نتوقّف عند هذه النزعة الجدلية في حفر مفهوم السحر. وهي نزعة اعترضت رحلتنا مراراً في هذا البيان.

ولكن قبل أن نستخلي حقيقتها تجدر الإشارة إلى أن كلمة **طب** العربية ذاتها ما هي إلاّ كلمة **تب** المصرية القديمة الدّالة على **الكشف** كما يكشفها لنا لسان الطوارق في «**يوتب**» (لأن الطاء حرف دخيل على اللغة البدئية مثله في ذلك مثل الحروف الحلقية، والأصل هو التاء). وهو ما يعني أن الطب في فلسفته الأصلية ما هو إلاّ **كشف**. فلماذا صار هذا **المبدأ الكشفي** فجأة في كلمة بدئية أخرى كالسحر **إخفاءاً**؟

السرّ يكمن في طبيعة الدّاء. فالمرض يستعصي على الاستشفاء بدون حيلة نسمّيها اليوم **تشخيصاً**. والتشخيص لا يتحقّق بدون **استكشاف** لحقيقة المرض. أي بدون معرفة **علّة العلّة**. وهي عبارة تفسّر لنا المفارقة الكامنة في تعبيرين متناقضين هما الكشف والإخفاء وتوحّد بينهما، لأن كلمة علّة تعني سبب، كما تعني **مرض** أيضاً في العربية.

ولهذا فإن الطب (أو تب، أو يوتب) ما هي إلاّ رحلة استشراف أو استكشاف للعلّة **الخفية** بطبيعتها، في حين يلعب السحر (كجوهر استغلاق) دور **النفي** الذي يعمل على تغييب الدّاء، **أي مداواته!**

من كلمة **طب** هذه (التي هي **تب**) انبثقت كلمة **طبع** العربية (لأن العين بمثابة ألف مهموزة مثل الحاء). ومن الطبع تولّدت كلمة **طبيعة** باعتبار الطبيعة **كشفاً**، **أي ظاهرة**، في مقابل الجوهر أو **الشيء في ذاته**.

والمداواة، أو الاستشفاء، بلغة الطوارق تسمى **«أسفار»** (sfr) الدّالة في ترجمتها من لسان التكوين: **المشحون بالخفاء**، أو بعبارة أخرى، **الجوهر الخفيّ** كناية عن الدواء. وهي تسمية نستطيع أن نجد لها مبرّراً إذا استخدمنا بحقّها الاستنتاج الذي كشف عنه التحليل السالف. فالدّاء **أحجية خفية** ما ظلّ سلطاناً مهيمناً في الواقع. أي أنّه **كمون في نطاق المجهول** ما لم يفلح الطبّ (يوتب، تب) الذي هو **كشف** كما تنعته عبقرية البدايات في عراكها مع المفاهيم، لينتحل لنفسه اسماً رديفاً حتى في النطق بالعربية هو **الدواء**، والموصوف في لسان البدء بـ**«سفار»** الذي هو **لغز** آخر لا يقلّ غموضاً عن طبيعة الدّاء، لأننا على يقين بوجوده في أدغال مملكة الطبيعة، ولكنه يستعسر علينا نيْله بسبب **احتجابه** في ستور أدغال هذه المملكة، برغم أنه لا بدّ أن يصير في النهاية **غنيمة** أولئك الأبطال الذين لا يعرفون اليأس والذين حقّ للسحرة أن يفوزوا بالانضمام إلى طائفتهم. ولكن ما صلة **«سفار»** هذه بكلمة **سفر** العربية التي تشترك مع الأولى في سواكنها (س + ف + ر)؟ لماذا صار السفر، في لسان البدء، ضرباً من **دواء**؟

لن نفلح في تفسير هذه الأحجية ما لم نعد إلى طبيعة إنسان التكوين **الارتحالية**. فكلّ أهل البدايات عاشوا في سفر دائم، لا لأنهم يطلبون الكلأ، ويضعنون وراء الغيث أينما حلّ كأبناء الصحراء الكبرى أو غيرها من الصحاري، ولكن لأن الإنسان **وُلد راحلاً**. وكلمة وُلد راحلاً هذه لا بدّ أن تعني هنا **وُلد حرّاً** قبل أن

تعني ولد مهاجراً لسبب بسيط وهو أنه لم يجد في ميلاده مبرّراً واحداً يشدّه إلى الأرض. وعبادة هذا المخلوق للحرية حتى ببعدها الميتافيزيقي إنما نتجت عن هذه الطبيعة البدْئية. لماذا؟ لأن الارتحال **حركة**. والحركة هي سرّ الحياة الأوّل. لأن **الاستقرار** كان يعني في لغة التكوين **الجمود** (أصل الكلمة **قرّ** التي تعني **يبس**، أو **جمد**، أو **مات**، سواء في لغة العرب أو الطوارق أو مصر القديمة)، والجمود يعني **الموت**. هذا هو السبب الحقيقي الذي أدّى إلى تحويل السّفر **ناموساً مقدّساً** في عقيدة إنسان البدايات. وهو الناموس الأنبل في حياة القبائل الصحراوية الذي ما يزال سائداً إلى اليوم. وخيانته تعادل خيانة مبدأ الحياة نفسها.

وإذا كان إنسان الاستقرار (أو ما نسميه نحن اليوم إنسان المدينة، أو إنسان الحضارة) قد استبدل فضيلة الترحال برذيلة الاستقرار (التي هي رديف العبودية) في صفقته المريبة، فإنه لم يتنكّر **للحركة** التي ليست شيئاً آخر سوى **القرين الأهون** لمبدأ الترحال الأعسر منالاً لأنه يتطلّب بطولة تحمل وزراً جسيماً يعجز عن تحمّله ضعاف النفوس هو: **الحرية**. لماذا؟ لأن هذا الإنسان ببساطة وإن ضحّى بالأسفار بسبب الأهوال إلاّ أنه لم يستطع أن يضحّي بالحركة، لأن التخلّي عن الحركة يعني **قبول الموت**، أو الانتحار، بكلمة أصدق. أي أن مريد المدينة احتال على الحرية الحقيقية، أو الحقيقة الكبرى، باعتناق شقيقتها الصغرى الكامنة في الحركة دفعاً للتهلكة التي تنتظره في حال قرّر أن يستغني حتى عن الحركة.

ومن الطبيعي في هذه الحال أن تنقطع صلة هذا الإنسان بالطبيعة الأمّ رويداً رويداً بتتابع الأجيال. وانقطاع صلة الرحم هذه بالطبيعة الأم أمر لن تغفره هذه الأمّ حتى لو شاءت سجيّتها كأم أن تغفره، لأنه مخالفة لذلك الناموس الذي لا تستطيع هذه الأم نفسها أن تتحايل عليه، لأنه كامن في الجينات إذا استخدمنا لغة هذه الأم نفسها، وهو أيضاً مدسوس في خفايا القدر إذا استخدمنا لغة المثال.

هذا يعني أن القصاص لا بدّ أن يعقب **الخطيئة**. وهو يأتي دائماً في بلاءٍ اسمه **الدّاء**. هذا الداء الذي يصيب الروح إذا تسامح مع البدن، ويصيب البدن إذا تسامح مع الروح. وهو في كلا الحالين لا يتنازل عن رسالته القاسية التي نسمّيها داءً.

وإذا ابتلى صاحب الخطيئة بلعنة الدّاء فلا بدّ أن يبحث عن الخلاص بنبوءة لا وجود لها إلاّ في اسم «**سفر**» الدّال في لغة التكوين على مفهوم **الدواء**. وهو ما يعني أن الرسالة ذات مضمون مشفّر ترجمته تقول أن الاستقرار في حدّ ذاته داء ولا شفاء منه إلاّ بالعودة إلى رحاب الطبيعة الأم، أي **بالارتحال** في ربوعها، والارتماء في أحضانها، وتسليم الأمر لإرادتها. لأن الاستقرار ما هو إلاّ **اغتراب** لا عن وطن التكوين الذي أرضعنا من ثديه فحسب، ولكنه تجديف يعادل العقوق، وضلال لا بدّ أن ندفع ثمنه هلاكاً إذا ركبنا رؤوسنا ورفضنا التوبة.

السّور (السورة): عربية، طارقية، بدْئية

كلمة سور إذا أخضعناها للتحليل بمعناها الحسّي، أي في معنى **جدار** وجدناها تتكوّن من سين الجوهر مضافاً إليها كلمة **أور** (ur) الدّالة في كل اللغات الهند أوربية على معنى **الارتفاع** عن مستوى المكان، ليصبح المعنى كما يجري على لسان الطوارق: **الامتلاء بالسموّ**.

أمّا **السور** كمفهوم، أي كتجربة معنوية كما تطرحها كلمة **سورة** فإنها تستعير مدلولاً أكثر تجريداً، برغم أنه مستعار بدوره من ذات التجربة العملية، ليصير **جوهراً رفيعاً**، أو **قيمة سامية** كناية عن **السورة** كدلالة حاملة لمبدأ **القداسة**. وهو ما يؤكّده صاحب «لسان العرب» عندما يقول في تفسير السورة بأنها: **«المنزلة»**.

وهي كلمة تبدو غامضة بعض الشيء لأنها بدورها **مزدوجة** المعنى بالقدر نفسه الذي نراها فيها مزدوجة المعنى أيضاً في التحليل السالف. وهو ازدواج ناتج عن نزعة العقل البدْئي التي تعتنق الجدل لا ولعاً بالسفسطة، ولكن إكباراً للتجربة الحسية التي استطاع هذا العقل العبقري أن يبتدع بعونها **المفهوم المجرّد**.

فالسور (أو السورة) ما هو إلاّ **منزلة** حقاً إذا استخدمنا في حقه معيار المكان. أي أنه **مرتبة** مّا. درجة في سُلّم **الارتقاء** إلى أعلى. أي أنه **كيان**. هذا الكيان الذي لم يكن في حقيقته الأولى إلاّ **البنيان** الذي **استوى** فوق اليابسة مؤسّساً مبدأ **العلوّ** الذي إذا جبلناه بروح المعتقد الديني تحوّل **سموّاً**. لأن السموّ هنا ما هو إلاّ تجربة أرضية في البداية، ولكن تطلّعها إلى الأعالي في حركتها لا بدّ أن يهبها **مستوى** آخر في مسيرتها. مستوى يحدده موقعها من **العُلى**، أي من السماء بوصفها **وطن المثال** بلا منازع. والسيرورة عبر هذا السّلّم هي بمثابة **علاقة** تنفي عن التجربة الحسيّة الكامنة في **البنيان الأرضي** صفة هذا الانتماء الأخير (أي الأرضي) وتضفي عليها مسوحاً من **تجريد** كامنة في تلك **القداسة** التي لا تهبها إلاّ السماء البعيدة، الغامضة، اللامبالية، التي توحي بوعد مهيب اسمه **النبوءة** برغم لا مبالاتها هذه.

من هنا، في هذه النقطة التي يغترب فيها البنيان كمكان، (أي السور كمنزلة أرضية) تتحجّب التجربة بلحاف **الخلود** بعون من لا نهائية الفضاء السماوي المستعار من **لانهائية** الحدود الكونية، فيتولّد **المفهوم** من صلب هذه المغامرة ليصير **منزلة** في مدلولها القدسي الكامن في كلمة **سورة** (كدلالة على النبوءة) فيكف السور (كمنزلة ترتفع إلى أعلى) ليصير **منزلة** (سورة) تتنزّل من الأعلى إلى الأسفل لا لتؤكّد **النزول** كعودة لا مفرّ منها (لأن كل مبدأ مجبول بالعودة إلى الأصل)، ولكن ترتدّ إلى الأسفل **لتنقذ**. تحمل وصية في

رحلتها إلى أعلى (كسور)، ولكنها عندما تعود أدراجها تستنزل (كمنزلة) **الخلاص** مبثوثاً في النبوءة التي هي دائماً **تنزيل** (سورة). لهذا السبب فإن مبدأ التنزيل في متن مقدّس كالقرآن الكريم مجبول دائماً بنعت **«الحكيم»**.

وعندما تلجأ اللغة إلى اعتماد كلمة **منزل** كتذكير لكلمة **منزلة** المرادفة لكلمة **سور** كما توردها الموسوعة، فإنها لا تفعل ذلك لتخبرنا بحقيقة النزول لأننا **ننزل** المنزل باعتباره **سكناً**، أعني لأننا **ننزله**، ولكن لأنها ترى في المنزل **كياناً ذي مرتبة تنمو من حضيض أسفل متجهة صوب قمّة أعلى**. وهو ما يعني في لغة الدّين تساميا عن البُعْد الدنيوي، عن تجربة العمل البنيوي المؤسّس لمفهوم الإيمان، وبالتالي، لصرح الحضارة. لأننا في الواقع **لا ننزل** المنازل، ولكننا **نلجها**، اللّهم إلا إذا كانت كهوفاً منحوتة في باطن الأرض، وليست مقامةً فوقها كما هو الحال مع البنيان الذي حدّده العقل البدئي وعامله كـ**كيان** أهم سماته الاغتراب عن حقيقته **كحضيض** واكتساب **هوية ربوبية** بخياره البطولي في الانتقال من حضيضٍ هو دائماً استعارة تدلّ على **الجحيم** في كل اللغات والقيام بمغامرة جسورة لارتياد آفاق الأعالي، أي **السماء**، التي كانت دوماً مجازاً دالاً على **الحرية** في كل اللغات.

سَجَدَ: عربية، طارقية، بدْئية

قد يبدو فعل السجود ضرباً من ركوع لأولئك الذين لا يرون فيه سوى الحركة، ولكنه في حقيقته البدْئية عمل ذي طبيعة جوهرية يكشفها لنا وريث الروح البدْئية (لسان الطوارق) عندما ينعت هذا الفعل باسم آخر هو: **الإنصات**. بل ليس الإنصات فحسب، ولكن **الإمعان في الإنصات**، أو **التسمّع**. وهو مدلول مستعار في الواقع من التجربة الجسدية لفعل السجود المتمثلة في **انكسار الجرم المنتصب في الفضاء والانهيار به أرضاً لا للاستسلام الأبله لحضيض الأسافل بحيث يبدو هذا الفعل صفقةً يستبدل فيها صاحب الجرم البُغد السماوي بالوحل الدنيوي، ولكن لانتزاع الوصية التي استعسر نَيلها في الأعالي من خفايا الوطن الأرضي بالتجسّس على وشوشة هذا الوطن المتمثّل في حركة حسيّة يتلبّس فيها الجسد أمّه الأرض، متشبّثاً بصدرها بكلتا يديه، مغمضاً عينيه إجلالاً، ملصقاً أذنه اليمنى ببدنها، متسمّعاً لوجيب قلبها الخفيّ استكمالاً لطقس التماهي النهائيّ، طلباً لنبوءة لا تصحّ بدونها شعيرة الصلاة.**

هذا يعني أن **الصلاة** التي نطلبها بهذا الفعل الجليل ليست

ركوعاً. ليست حركة جسد يعلو ويهوي، ولكنها فعل **خشوع**. ولكن ما معنى **خشوع** هنا؟ الخشوع ليس كتجربة حسية يقوم بتأدية وظيفتها الجرم، ولكن الخشوع هو **رحلة تأمّل**. هذا التأمّل الذي يمرّ بمراحل قبل أن يبلغ هذا المطاف. والسجود هو مرحلته الأولى. هذا السجود الذي لا يصير خطوة أولى في صراط الصلاة الطويل ما لم يمرّ بمرتبة **الانكسار**. أي طرح **الاستكبار** الذي تخلعه علينا الدنيا وينبغي أن ننكره ونتطهّر منه إذا قررنا المسير في درب الصلاة. لأن **التّنصّت** (الذي هو حقيقة السجود) لا يتأتّى **كرؤيا روحية** بطبيعتها بدون اعتناق مبدأ **التخلّي** المتمثّل في إنكار الاستكبار. كما أن التأمل ذاته ليس غاية في ذاته، ولكنه **درجة** أخرى في سلّم الرحلة نحو **النبوءة**. والاعتصام بمحرابه (محراب التأمّل) طويلاً هو الامتحان التالي للفوز بالكنز لنيْل النبوءة أي **إنجاز حلم نهائي هو الصلاة**.

ولكن السؤال هو: لماذا صار التأمّل مفتاحاً لمحرابٍ هو الصلاة؟

أو بأي دهاء صار التأمّل رديفاً لترياق روحيّ هو الصلاة؟ يقيناً أن المقصود بالتأمّل هنا ليس اشتقاقاً كامناً في المدلول اللغوي الذي تطرحه كلمة «**أمل**» التي لن تعني في حقيقتها شيئاً سوى مطاردة الأوهام، ولكن المقصود هو تلك الوقفة البطولية التي قد يعجزنا البحث عنها في معاجم اللغة والمرادفة لكلمة بسيطة بساطة الربوبية هي: **الحرية**. وهو ما يعني أن المقصود بالتأمّل هنا هو

ذلك الخطاب الذي تستطيع كلمة **تفكّر** أن تعبّر عنه على نحوٍ أفضل. وهو فعل بطولي لا لأنه تأكيد على الوجود في الذات فحسب، ولكن لأنه بمثابة وضع حدّ **لغربتنا الروحية**. هذه الغربة التي يمثلها **وجودنا الدنيوي** بكل معنى الكلمة وفي أوقح وجوهه. ولهذا فإن **السجدة** التي نحسبها مجرّد تجربة بدنية قرينة لحركة الركوع، إنما تعني **البرزخ** الفاصل بين عالمين: **عالم اغتراب** تمثّله بلبلة الدنيا، **وعالم حرية** يجب أن نفتديه بأرواحنا.

وعندما يقرّر عقل كهنوتي مثل «هيغل» بأن الإنسان الدّيّن (المؤمن) هو الإنسان المتأمّل، أي المتفكّر، فإنما يؤكّد على الهويّة الراديكالية لهذه التجربة قبل أن يستنكر، بهذه العبارة، الممارسة الشعائرية للإيمان.

ولمّا كنّا نعلم بأن التفكّر فعل لا يتحقّق بدون **تسمّع** الذي اعتمدته اللغة البدئية كاسم للسجدة، فإن هذا الوضع الذي ننشد فيه حلم الاستماع في حدوده القصوى لا بدّ أن يستدعي حضور شرط آخر هو **العزلة**. ولمّا كانت هذه العزلة مستحيلة في دنيا مغلولة لا بالبلبلة وحدها، ولكن بالبلبال أيضاً، فإن بلوغ ساحة الربّ (أي الصلاة) قد استعصى إلى حدّ لا نملك فيه بديلاً غير أن **نسقط أرضاً**. هذه السقطة الشجاعة التي لا يجب أن نستحي عندما نردد اسمها البدئي الكامن في السجود **كتسمّع**، وليس كحركة يؤدّيها البدن، بل **الأذن!**

والأذن هنا لا تلعب دور الحاسّة، ولكنها تقوم بواجب

الاستعارة. وليس لنا إلاّ أن نستعيد نظرية شوبنهاور عن العبقرية لندرك مدى صلة الاستماع بالإلهام، وبالتالي، **بالنبوءة**.

فقد تحدّث بإسهاب عن العلاقة الحميمة بين هذه الحاسة، من دون الحواس جميعاً، وبين الروح الملهمة عموماً، وانتهى إلى الرواية التي كان فيها غوته يمشي خلف الفرق الموسيقية العسكرية الصاخبة ليعوّد أذنيه الحسّاستين على سماع الضجيج.

ويبدو أن رحاب الحرية، أو ما اصطلحنا على تسميته نبوّة، مبدأ لا نناله بدون **صوت**.

فالإنسان يخرّ ساجداً فيلصق أذنه بالأرض ليتجسّس على **الصوت البعيد**. وهو يتسمّع بإمعان أيضاً لكي يتجسّس على دنيا الخافية ليقتنص النبوءة في **الصوت البعيد** أيضاً.

وعندما يروي هيردوت بأن قدماء الليبيين يلجأون إلى أضرحة موتاهم، وينامون فوق حجارتها استجداءً للنبوءة، فإن أحفادهم الطوارق ما يزالون يفعلون ذلك إلى اليوم. ليس هذا فحسب، ولكنهم يقولون في أساطيرهم ومعتقداتهم أن الفوز بالنبوءة من الضريح لا بدّ أن يسبقه **صوت** شبيه بصوت النحلة كضربٍ من ضروب التمهيد. وهو ما يؤكّده نيتشه في «ميلاد التراجيديا من روح الموسيقى» فيروي أن شيلر كان يستلهم قصائده التي تولد في البداية **كلحن موسيقي غامض**.

وإذا كان اللحن صوت، والنحلة في أزيزها أيضاً **صوت**،

وحدّة السمع، كسمة من سمات العبقرية، كما يرى شوبنهاور، كذلك أمر له صلة **بالصوت**، فلا شك أن النبوّة، أو الحرية، ضرب من صوت. ليست صوتاً حسيّاً يقيناً، ولكنها **وسوسة روحية** تستطيع أن تتحوّل إلى **صوت حسيّ في حدودها القصوى**، سيّما وأنّنا كثيراً ما نرى كيف تنقلب المعاناة الروحية **داءً بدنياً**، بالقدْر نفسه الذي يهلك المخلوق الذي اعتنق حياة الحرية (سواء أكان إنساناً أم حيواناً أم طيراً) عندما نحجر عليه بالحبس في قفص أو معتقل.

فإذا قمنا بتجزئة الكلمة بفصل سين الجوهر عن «**جد**» الدّالة في لسان الطوارق على: «**الطيران**»، صارت ترجمة التركيب: «**ملآن بالطيران**»، أو: «**جوهر الطيران**». كأنّ لسان حال عقل التكوين يريد أن يقول لنا أننا عندما **نهوي بأجسادنا** أرضاً، إنّما **نرتفع بأرواحنا** إلى الأعلى. والعكس صحيح. أي أننا عندما **نرتفع بأبداننا** إلى أعلى إنما **نهوي بأرواحنا** إلى أسفل. أي أننا نغترب عن حقيقتنا **بالاستكبار**، ونستعيد جوهرنا **بالتسليم** (الذي يعني استسلاماً بأي حال). وهذه المفارقة هي الترجمة الحرفية لوصيّة القدّيس بولس القائلة بأن: «**ما نزرعه لا يحيا إن لم يَمُتْ**»!

سدر (شجر): عربية، طارقية، هند أوربية، بذْئية

كلمة شجر العربية ليست سوى تحريف لكلمة سدر البذْئية ذات الأبعاد الميتافيزيقية التي تناولناها بإسهاب في الجزء الخامس من هذا البيان (الثالث من ملحمة المفاهيم. باب peccatum). الشين في الكلمة ليست سوى إبدالاً شائعاً من السين الأصلية، لأن الشين دخلت التداول في مراحل زمنية متأخرة نسبياً بالمقارنة مع السين كحرف بذئي له كيان في لسان التكوين من منطلقه الديني **كجوهر**. هذا في حين انعدم وجود **هوية دينية** لحرف الشين مثله في ذلك مثل أحرف كثيرة تتصدّر قائمتها الحروف **الحلقية** بالذّات.

أمّا الجيم (في شجر) فهو إبدال نادر من حرف الدّال البذْئيّ نجد له نظيراً في لسان بذئي كالسومرية التي تطلق اسم: «**إِدَدْ**» (dd) على ربّ **الرعود** الذي تحوّل في لسان بذئي آخر كلسان الطوارق إلى: «**إجَجْ**» الدّال على **الرعد** ذاته. وهكذا تتضح ملامح الكلمة الأصلية لكلمة شجر بجلاء في كلمة **سدر** ذات الهوية الميتافيزيقية الغنية بالدلالات الدينية. فهي في اللغات الأوربية ترد كـ«Keder» أو «Ceder» استعارةً من لسانٍ بذئي أمّ هو اللاتينية، وإبدالاً شائعاً آخر بين الكاف والسين. فأيّ سرّ دفع لسان بذئي

كالعربية لأن ينعت ملّة الشجر كلّها باسم ملفوفٍ بالغموض، ديني الهويّة، مثل **السدر**؟

السرّ يكمن في مفهوم السدر **كجذر**. هذا الجذر الذي ما هو في حقيقته سوى رديف لكلمة **سدر** نفسها (لأن الجيم ما هي إلاّ إبدال آخر من حرف السين، كما كان الكاف إبدالاً من السين كما في keder التي تحوّلت Ceder). وهو إيماء يتجاوز حدود اللغة لينقل لنا **رسالة**. رسالة مطلسمة تفضح إذا تأملناها مليّاً **الهوية الميتافيزيقية** لسلالة الشجر لا كنبتة من فصيلة النّبوت، ولكن كلغز لعب دوراً خطيراً في صرح التكوين.

وعلّ العناية الحميمة التي توليها لغات اللاهوت في مختلف المعتقدات لشجرة السدر (**سدرة المنتهى** مثالاً) إنما تكشف عن جانب من أبعاد **المضمون المغترب** لهوية السدر الأصلية التي حجبها عنّا سلطان النسيان.

فالطوارق يطلقون على هذه الشجرة اسم «**تبكات**». وهي كلمة مرادفة لكلمة **الخطيئة** في كلمة «**بكات**»، أي بإسقاط تاء التأنيث الأولى. ثم تأتي اللغة اللاتينية فتستعير ذات التعبير حرفياً في كلمة pecctum (um إضافة لاتينية للتدليل على الاسم والأصل هو pecct) كاسمٍ دالٍ على **الخطيئة** أيضاً. ثم يأتي سفر التكوين فيخبرنا منذ إصحاحاته الأولى أن سبب إقصاء سلالة آدم من ديار الفردوس هو **الخطيئة** الكامنة في التقام فاكهة الزقّوم من **شجرة** (أي سدرة) الخير والشرّ.

ليس هذا فحسب، ولكن مصدراً أقدم عهداً يقدّم لنا برهاناً آخر على علاقة الشجرة (أو السدرة بالأصح) بقصة الخلق هو ملحمة **جلجامش** السومرية التي يخرج فيها البطل الأسطوري في رحلة غايتها الوقوف على سرّ الموت والبحث عن ترياقٍ يحقّق الخلود. يعود البطل من الرحلة بالعشبة (أي شجرة) التي وجدها في أسافل الغمر المائي مدسوسة عند **جذر** (أي سدر أيضاً) سلطان **القدر**. هنا يجب أن نتوقّف لأن كلمة **قدر** العربية ما هي إلاّ استعارة مباشرة وواضحة من كلمة **سدر** (لأن الكاف تتعاقب مع القاف، والقاف ما هي إلاّ الإبدال من الكاف كما هو شائع، والكاف إبدال من السين. وهو ما يعني أن كلمة **قدر** ما هي إلاّ كلمة **سدر**، أو كما ينطقها لسان بذْني كاللاتيني في Keder أو Ceder كما تُكتب في هذا اللسان عادةً). وهو ما يعني بلغة الاستعارة أن **الطبيعة الإثمية** لعملية الخلق سرّ كامن في **الجذر**، أي **السدر**، الذي هو أيضاً **القدر**. هذا القدر الذي يبعث بالحية رسولاً يستعيد من مريد الحقيقة (جلجامش) ترياق الخلود (العشبة) قبل أن تهرع لملاقاته الكاهنة «**سدرو**» لتخبره بالنبأ اليقين الذي يقول بعبث البحث عن الخلود، لأن الموت للإنسان **قدر** (أي سدر). كما يجب الملاحظة هنا أن اسم الكاهنة «**سدرو**» ما هو إلاّ «**سدر**» أيضاً، لأن اللغة السومرية ترفع المبتدأ أو الأسماء عموماً بحرف الواو فتقول مثالاً **أريدو** كناية عن **الأرد** (أي الأرض)، أو **إلو** كناية عن **إل** (الإله).

فهل يعقل أن يكون من قبيل المصادفة أن تحمل كل الأسماء الميتافيزيقية المسئولة دينياً عن لغز الوجود اسماً واحداً، هو سدر بداية من نبتة الميلاد في جلجامش ونهاية بشجرة الخطيئة التوراتية مروراً باشتقاق كلمة **شجر** العربية من السدر كمفهوم ذي صلة **جذرية** (الجذر = أيضاً سدر) **بالقدر** الذي ليس شيئاً آخر أيضاً وأيضاً سوى **سدر**؟

يقيناً أننا لسنا بصدد المصادفة، ولكننا أمام فصل جديد ومثير من الفصول التي تصلح مفتاحاً لحل لغز المغامرة الوجودية بأسرها. فأن تتبوّأ السدرة المركز، أو النواة، التي تقوم عليها دائرة لا الكون فحسب، ولكن التكوين، أمر يكشفه اشتراكها في اللفظ والمعنى بكلمة **جذر** كأصل للظاهرة الوجودية. هذا إلى جانب استيعابها لمضامين دينية خطيرة مثل **الخطيئة** (كما في لساني الطوارق واللاّتين)، وكذلك لاسم الكاهنة التي أخبرت جلجامش بحقيقة الوجود في نهاية الملحمة، أضف إلى ذلك اشتراكها في الاسم مع **القدر** نفسه (سدر = قدر)، دون أن ننسى تلك الهوية النهائية لاسم الشجرة التي تطرحها الثقافة الإسلامية في مصطلح: **«شجرة المنتهى»** الدّالة على **المبتدأ** في حقيقة الأمر. أي أن حقيقتنا إنما تنبع من تلك العشبة (الشجرة) المتشبثة بقيعان المجهول الكامن في أعماق الغمر المائي (وجعلنا من الماء كل شيء حيّ/الآية)، وما خروجنا من رحابها سوى **خطيئة** أي شقّ لعصا الطاعة على **القدر** (سدر) فحقّ لكاهنة الأجيال أن تخبرنا بلسان الربوبية (على

طريقة عرافة معبد دلفى) أن رحلتنا باطل أباطيل لأننا عبثاً نفتّش أركان الدنيا عن حقيقتنا، ونحاول في هذا الطلب المميت أن نحقّق خلوداً لن نناله أبداً، لأنه حكر على الآلهة وحدها، وليس لنا من نصيب في دنيانا سوى أن نهدهد في أحضاننا المرأة التي نحبّ، ونستمتع بالسباحة في الماء النقيّ، دون أن ننسى تقوى الله وحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله (كما يكمل سفر الجامعة الوصية التي بدأتها **«سدرو»** في ملحمة جلجامش).

ولكن بأي حقّ استطاعت بُنية بسيطة التركيب مثل: **سدر** (= قدر، شجر، جذر) أن تصير سبباً للغزِ هو الوجود أعجزتنا الحيلة لفكّ طلسمه طوال أجيالٍ وأجيالٍ وأجيال؟

السرّ يكمن في مدلول البُنية كما يكشفه لسان الطوارق مستعاراً من التركيب البدْئي المنسيّ ككل مفردات هذا اللسان. فالسين تعبّر عن **الجوهر** كما عبّرت دائماً. و«در» تعني: **حياة**. فيصير الاسم مترجماً: **«جوهر الحياة»** كتعبير عن **هويتنا الوجودية** المتمثلة في **السدرة** الغامضة. وهو مبدأ ينسحب على سلالة **الشجر** إجمالاً، لأن الشجرة ليست سوى **سدرة** كما حلّلنا. وهو ينسحب على **الجذر** أيضاً لفظاً ومعنى. كما ينطبق على كلمة **قدر** على نحوٍ مجازيّ لأن القدر ليس في حقيقته مبدأ يختلف عن **المنقلب** الذي صرنا إليه بخيارنا في الاحتكام إلى أرباع هذه الشجرة ـ الخطيئة التي أخرجتنا من **فردوس** آخر فقدنا السبيل إليه وجهلنا طبيعته الحقيقية بسبب **اغترابنا** الناجم عن صفقتنا الخاسرة، سيّما إذا علمنا

أن كلمة peccatum اللاتينية الدالة على **الإثم** سواء في لغة الطوارق أو في معجم قبائل اللاّتين هي عبارة دالّة على كلمة **سدر** في لسان بدئي كلسان الطوارق. وهي بدورها تركيب مكوّن من **باء الروح** يليه **كاف التكوين** أو **الجذور** على السواء، ليصبح المعنى: **روح التكوين** كنايةً عن اسم **السدر** من ناحية، وكناية عن اسم **الخطيئة** من ناحية ثانية، وكناية عن اسم الوجود الإنساني في مجال **الظاهرة**، أي في **بُعْده الدنيوي** من ناحية ثالثة.

إِسَنَيْ (Senei): طارقية، مصرية قديمة، بدْئية

في لسان الطوارق تعني **إِسَني** (Sn) معنى **المشرك**. ويبدو أن الأصل في الكلمة مستعار من كلمة **سين** الطارقية الدّالّة على **الازدواج**. وهو ما نجد له نظيراً في المصرية القديمة التي تنعت مبدأ **الأخوّة** بذات الكلمة، أي **سين** (Sn). ليس هذا فحسب، ولكننا نجد في الإنجليزية رديفاً لهذه الدلالة في كلمة Sin (Sn أيضاً) التي تعني **الخطيئة**. أمّا في السومرية فيطلق اسم **سين** (Sn) على **إله** القمر. فلماذا يكون هذا الاسم المركّب من سين الجوهر بالإضافة إلى نون الألوهة رمزاً **للشرك** من ناحية (كما في لسان الطوارق)، ودليلاً على الازدواج أو **الأخوّة** من ناحية ثانية (كما في المصرية القديمة)، واسماً **للخطيئة** من جانبٍ ثالث (كما في الإنجليزية)، وعلامةً على **الربوبية** من زاوية رابعة (كما في السومرية)؟

إذا كانت ثقافة التكوين قد دلّلت مراراً على الطبيعة الإثمية لمبدأ المعرفة، فإن الإنسان لم ينقلب **إنساناً** إلاّ بهذه المعجزة، لأن كلمة **إنسان** العربية إنما استعارت حقيقتها من **إنس** (ns) التي هي سين (sn) **مقلوبة**. ذلك أن العقل القديم لا يهمّه أن يقول: ذو

الجوهر (كترجمة لكلمة إنس)، أو أن يقول: «**مشحون بالجوهر**» (كما تعني كلمة سين). لأن كليهما يشير بوضوح إلى معنى صاحب **العرفان**.

وهو ما يعني أن هذا اللغز قد صار **عارفاً** بفاكهة الخطيئة (sin)، كما أنه لم يكن ليكون **خاطئاً** لو لم **يشرك** (sn) بربّه أحداً. أي أنه عاش تجربة **انشطار** غامضة ليس بوسعنا أن نستجلي حقيقتها النهائية، فحقّ لشقّ عقلٍ بذْئيّ آخر، كالمصري القديم، أن ينعت الشقيق (أو الأخ) بذات الاسم، أي **سين** (sn) تعبيراً عن هذه المحنة الخفيّة.

ولمّا كنّا ندري أن **المعرفة** في حد ذاتها مبدأ مستعار من رحاب **القداسة**، فلن يكون من حقّ أحد أن يستنكر أن يطلق لسان بذْئي عميق كاللسان السومري على الربّ (القمري تحديداً) اسم **سين** (sn) ذاته، لأن **العرفان** في نهاية المطاف هو الاسم المشترك الأعظم الذي يجمع بين أبعادٍ نراها اليوم أضداداً علّ **الشِرْك** يقف في حدّها الأقصى في حين تقف **الربوبية** في طرفها الآخر.

فالشرك هنا مبدأ يرد في هذه الثقافة (ذات النزعة الجدلية) كقرين لمعنى **التحريم**، أو **خرق** ستور المحرّم على حدّ سواء. وهو بهذه الدلالة لا بدّ أن يعني **الخطيئة** أيضاً. ولكنه في الوقت ذاته لم يكن ليكون شِركاً لو لم ينهل من نبع **المحرّم** المتمثل في التقام فاكهة الزقوم ليميّز الخير من الشرّ بفضل المعرفة بالذات. وهو ما يعني أن الإنسان الذي كان **نكرة** بالفطرة الأولى، سار في

طريق الربوبية بالحية المتمثلة في نيْل السر، أي المعرفة، برغم أن هذا السرّ الربوبي لم يكتمل لأن صاحب البستان (الفردوس) لم يمكّنه من البقاء في مملكته أمداً أطول فطرده قبل أن يستوفي الشرط الأخير في الفوز بالألوهة المتمثّل في الخلود فيما لو أتيحت له فرصة التقام الفاكهة من شجرة الحياة.

ison: يونانية قديمة، طارقية، بدْئية

ison باللسان اليوناني القديم تعني **المساواة**. وفي لسان الطوارق تحمل معنى **القِسْمة**. وهي قسمة تفترض من حيث المبدأ **التساوي** في حقيقتها البدْئية. من هنا استعارت الثقافات الميزان كشعار **للعدالة** حرص الدهاة على إبقاء كفّتيْه في الوضع المتوازي، فإنْ مال جانبٌ دون آخر اختلّ **الانسجام**، وغاب التساوي. هذا التساوي الذي لم يصبح رديفاً لمبدأ **العدالة** في نهاية المطاف إلاّ لاعتناقه لديانة **الاعتدال** التي لا يفوز فيها أي طرف بنصيب يزيد على نصيب الطرف الآخر لدرجة صارت فيها كلمة بدئية دينية كـ«**القسمة**» قريناً شرعياً لكلمة **نصيب** في لغة تستعير مصطلحاتها الوجودية من لغة التكوين. وهو تعبير ليس دينياً فحسب، ولكنه ميتافيزيقي لأنه **قدري**. فمبدأ **القسمة** يحمل معنى له دلالة أبعد من كونه مجرّد مفردة، أو شهادة، **أخلاقية**.

أنه ضرب من **مكتوب** مبثوث في اللوح المحفوظ الذي لا نعرف عن هويّته الكثير، لأن جذره كامن في ملكوت الميتافيزيقا لا في مملكة الطبيعة. وهو ما يعني أن القسمة لن تكون **متساوية** ما لم تكن **عادلة**. أي أخلاقية. والعدالة في الاقتسام، أو في التوزيع،

بتعبير دنيوي، ليست أساس المُلك فحسب، كما يرد في أبجديات أهل الدنيا، ولكنها سرّ الحياة نفسها. وأن يكون الاعتدال في القسمة مبدأ مستعاراً من سرّ الحياة ذاتها، فهذا هو ما يهب العدل ذلك البُعْد الأخلاقي الذي نسميه بلغتنا قداسة.

ويبدو أن استحالة المساواة إنما تنبع من هذه الجذور الميتافيزيقية. ذلك أن الطبيعة نفسها تعجز عن تحقيق هذه المعجزة عندما تبدع الكائنات: فهذا مخلوق سليم الجرم والروح، وذاك عليل البدن وإن كان سليم الروح، أو العكس، أي به خلل في الروح برغم أنه سليم في البدن. وما يحدث للإنسان يحدث للبهيمة، وللنبات، ولكل ظاهرة في دنيا الوجود المرئي. ولهذا يرجع عقل البسطاء الأمر إلى الأقدار غالباً لا نتيجة تسليم يمليه عليهم عمق الإيمان بقدر ما يرجع السبب إلى عدم رغبتهم في الذهاب وراء الأسباب بعيداً، ليقينهم الفطري بأن هذا الذهاب رحلة محفوفة دائماً بالخطر. لأن لا نفع يُرجى من طلبٍ لا يعترف بطبيعته بحجج المنطق. ولهذا فإن تعبير غامض كالتعبير الكامن في لفظة القِسْمة (ببعده القدري) يصبح هو الحجّة لغياب مساواة يشترطها الانسجام الضروري لا لحياة الجماعة فحسب، ولكن لاستمرار الحياة ذاتها.

sex (Sexus): لاتينية، هند أوربية، طارقية، بدْئية

Sex دلالة على **الجنس** بمعناه كلذّة حسيّة تنتج عنها **الذرية**، أو تلك الفصيلة الإنسانية الحاملة **لبذرة** استمرار النوع البشري. والكلمة تركيب من سين الجوهر إلى جانب ex الدّالة في لسان التكوين على **النفي**، أو **الاستثناء**، أو **الإسقاط**، كما تستخدم في لسان الطوارق إلى اليوم. وهكذا تصبح العبارة بعد تفكيكها: «**شحنة المنفى**»، أو «**جوهر الاستثناء**»، أو «**عبوة الإسقاط**» كناية عن الفعل الجنسي.

والحقيقة أن البذرة التي نزرعها في الرحم لتحيا في بطن الأمّ سوف لن تحيا إن لم تضمن موت من استزرعها. وهو ما يعني أن ميلاد النوع رهين بهلاك المبدأ الذي تسبّب بإحياء النوع. ذلك أن ناموس الحياة ما هو إلاّ **إنتاج مميت**. ودبابير النّحل تقدّم لنا أقوى البراهين على هذه الحقيقة عندما تهلك **حال** قيامها بفعل النفي الذي نسميه في العربية **جنساً**. وهي كلمة مستعارة بدورها من معجم اللسان البدئي أيضاً: الجيم تعني **فعَل**، والنّون أداة إضافة، والسين علامة **الأنْسَنَة** (أي الإنسان) لتصبح الكلمة عبارة تقول: **فعل ذي طبيعة إنسانية**، أو **فعل يبدع إنساناً**، بعبارة أخرى. وهو تعبير يلائم

طبيعة الجنس كإبداع للنوع، برغم أنه لا يشير إلى طبيعة هذا الفعل كنفي للفاعل كما هو الحال مع الرديف البدئي الآخر المتمثّل في تركيب sex (sexus).

من جنس البدْئية هذه استعارت اللغات الدينية كلمة جنين التي تجمع كأجنّة، والأصل في الكلمة هو جنّ فحسب مع إسقاط السين الدّالة على الأنسنة. هذا في حين استعارت اليونانية القديمة، ومن بعدها بقية اللغات الأوروبية، من هذا الجذر (جن) عبارة genesis الدّالة على التكوين، أو عملية الخلق عموماً.

أمّا لماذا قامت فلسفة الجنس (sexus) على النفي فأحسب أن العقل البدْئي أراد أن يعبّر عن جدل الحياة والممات تأكيداً للوصية النبوية القائلة بأن «ما نزرعه لا يحيا إن لم يَمُت» (القديس بولس).

فلغز الوجود يتلخّص في التحام بُعْدين ذي طبيعتين متناقضتين التحاماً حميمياً ينتج عنه ميلاد نقيض ثالث يجمعهما في مبدأ واحد في سبيل تحقيق غاية تنفيهما كليهما.

وهو فعل مقدّس وآثم في آنٍ واحد. مقدّس لأنه يؤدّي رسالة بثّ المبدأ الخالد في البدن الزائل، وهو من جانب ثانٍ فعل مدنّس لأنه استمرار لتجربة الحرية التي اخترنا بموجبها الخروج من البُعْد الباطن والارتماء في أحضان البُعْد الظاهر. ولهذا السبب توجّب أن ننال القصاص على هذه الجريمة بدفع الموت ثمناً.

سَرْج: عربية، طارقية، هند أوربية، بدْئية

السرج ككرسي يعلو دابّة تتأهب للسفر هو الرديف الشرعي لكلمة «**تريك**» التي تتردّد على لسان الطوارق. وهو تعبير لا يبدو لأوّل وهلة حميم الصلة بقرينه العربي من حيث اللفظ، ولكن العلاقة لا تلبث أن تستظهر عندما نعلم أن كلمة «**تريك**» هذه ليست سوى كلمة **طريق** العربية الدّالة أيضاً على ذات الغاية من تثبيت السرج على الدّابة وهي **السفر**. (لأن التعاقب بين الكاف والقاف أكثر من شائع).

ليس هذا فحسب، ولكن اللغات الأوربية تستخدم هذه الكلمة، أي «طريق» في معنى **الحيلة** كما في الألسن الجرمانية، وكذلك اللاتينية (Trucco, trick إلخ) التي ليست في الواقع شيئاً آخر سوى **الطريقة** (المستعارة من مبدأ عام هو **الطريق**).

وهو ما يعني أن الإنسان لا يلتزم الطريق إلاّ **ليسافر**. كما لا يعدّ **سرجاً** لدابّته إلاّ ليلزم **الطريق**. أي أن العقل البدئي أطلق مجموع هذه الأسماء على مبدأ أصيل هو **الرحيل** وعبّر عن المفهوم كسيرورة تجنّباً لاختزال المراحل فسمّى الخطوة الأولى في هذا السبيل «**السرج**» التي تعني كتركيب مستعار من عقل البدايات:

«الظهر العالي» (زر + ج) كناية عن هذه الوسيلة، كما تعني **الغطاء العالي** أيضاً باعتبار السروج ضرب من الأغطية أو المفارش التي توضع على ظهور المطايا، هذه الظهور التي يُعتبر **العلو** سمة من سيمائها التي لاتحتاج إلى تأكيد.

أمّا كلمة **سرج** بلغة الطوارق فتعني حرفياً: **عطس**. ويبدو أن **اندفاع** الهواء من الرئتين على النحو الذي يصاحب العطسة هو نوع من **الخروج** الذي يصلح مرادفاً لمبدأ السفر الذي لن يكون سفراً إن لم يكن **خروجاً** من مكان في اتجاه مكان آخر.

ذلك أن العقلية البدْئية علمتنا أن ناموس تأسيس المفاهيم المجرّدة إنما يخضع دائماً للتجربة الدنيوية الحسية على النحو الذي يزاوج بين الطريق كسبيل في رحلة السفر بالطريق (Trick) **كحيلة** تستوجب التسلّل عبر دروبٍ خفية وعسيرة للوصول إلى الهدف بقطع النظر عن هويّة هذا الهدف.

سِنّ: عربية، طارقية، بذْئيّة

لكلمة سنّ البذْئية طائفة من الدلالات ذات الطبيعة المشتركة. فهي عندما تدلّ على **العُمْر** فإنما تعني بذْئياً **المعرفة** (San=) التي لا تتحقّق عادةً بدون مسافة زمانية كافية لتكوّن الوعي بلغز الوجود. وهي من هذا المنطلق ترادف المبدأ الربوبي المتستّر في كلمة **سنّ** التي إذا أضفنا إليها حرف علّة هو الألف صارت «**سان**» (san) الدّالة على **العارف** كاسم ألوهي من ناحية، وعلى ربّ القمر في الميثولوجيا السومرية من ناحية ثانية.

والشيخوخة في معنى أَسَنَّ، يسنّ، مسنّ هي قرين **الحكمة**. وصفة **الحكيم** هي أحد أسماء الله الحسنى مثلها مثل **العارف**، أو **العليم**.

أمّا مؤنث السّنّ فهو **السُّنّة** المرادفة لمعنى **الشريعة**. والشريعة كما نعلم هي مجموع الوصايا ذات السليقة الإلهيّة التي تستوي في معجم عام نسمّيه بلغتنا الدنيوية **ناموساً**. وهو ما يعني في الآن نفسه أن هذا الناموس ليس **دستوراً**. أي أنه ليس عملاً وضعيّاً، ولكنه بطبيعة **سامية**. أي أنّه **مقدّس**. والمبدأ المقدّس في عرف اللسان البذْئي موسوم بعلامة san سواء أكان عرفاناً، أم ضياءً له

حضور في الظاهرة، أم مجرّد بياض نظير في بكارته وكبريائه لبهاء النور، لأن هذه الأبعاد كلّها ما هي في حقيقتها سوى التجلّي الجلّي للمبدأ الخفيّ.

أمّا التأنيث الثاني لكلمة **سنّ** المتمثّل في كلمة **سَنَة** كقياس زماني يعني **عام** فيرادف **العُمْر** كمرحلة مستقطعة من الأبدية كزمان مطلق.

ولكن ما علاقة **السّنّ**، كرحلة لها وجود في مبدأ مجرّد كالزمان، بتلك القطعة الشبيهة بالعظم التي تستقرّ في الفمّ وتُجمع **كأسنان**؟ لماذا دأب نحاة العربية على جرّ هذه الكلمة ذات الكيان المادّي إلى ساحة لا وجود لها في المكان كالزمان؟ لماذا يُقاس عُمر الإنسان أو الحيوان بالكشف عن حال أسنانه؟ هل يزاوج العقل الأوّلي بين السّنّ كـ**«عُمر»** وبين السنّ كـ**«نتوء عظمي في الفم»** لأن الزمان لا يطبع بصمته إلاّ على هذه العظمة، أم أن السرّ إنما يكمن في مبدأ **البياض** القرين في لونه **بالنور** القرين بدوره لمبدأ **القداسة** المتمثّل أخيراً في علّة الوجود الأولى **الربوبية**؟

Signe (signum): طارقية، هند أوربية، بذْئية

Signum اللاّتينية تعني في الأصل **علامة**. منها انبثقت الكلمة الجرمانية Zeichen في صيغتها الألمانية. أما في الإنجليزية فنجد الاسم اللاتيني أكثر وضوحاً في كلمة Signe التي تعني **توقيع** إلى جانب معنى العلامة. وفي اليونانية القديمة نجد الكلمة في Simion.

من هذه الكلمة جاء مصطلح **السيموطيقا** المتداول اليوم على نطاق واسع. ويبدو واضحاً أن الجناح اليوناني في وسم العلامة استعارة من كلمة بذْئية تجري على لسان العرب هي **سيماء** الدّالة على معنى العلامة بصورة أكثر حميمية.

أمّا الشقّ اللاتيني المتمثّل في Signum فهو مستعار حرفياً من كلمة بذْئية ما تزال تجري على لسان بذْئي آخر هو لسان الطوارق في Signe (المرادفة للصيغة الإنجليزية Signe) الدّالة في الأصل على **الصبغة** إجمالاً، أو على **البصمة** تحديداً، هذه البصمة التي يحق لها أن تكون قريناً شرعياً لمبدأ عامّ هو **العلامة** في نزعتها المادية في الأساس. من كلمة Signe هذه انبثقت في لغة الطوارق مفردة أخرى حميمة الصلة بالعلامة نطقاً ومعنى هي Sikne الدّالة على مبدأ **الإظهار** (إظهار أي شيء وعرضه أمام الملأ).

وواضح أن الكاف هنا ما هي إلاّ إبدال من الجيم بسبب تلازمهما في النبرة الصوتية، كما أن **الإظهار**، إذا شئنا استنطاق المضمون، ما هو إلاّ **إشهار** للشيء، أي **عرضه** على الملأ إمّا بهدف أن يُحتذى، أو ليكون عبرة لمن يعتبر.

ولكن ما معنى العلامة كاستظهار؟

العلامة كاستظهار تعني الخطر! العلامة كاستظهار تعني اللعنة! فكما أن **الكَلِم وجود في الباطن**، كذلك فإن العلامة **وجود في البادية**.

وإذا كان الوجود في الروح **استخفاء** على نحوٍ مّا، فإن الوجود في المادّة **عُرِيٌّ**. والوجود في العراء هو ما يصنع منّا ضحايا، وليس وجودنا في المعنى. الوجود في العلامة ليس محنتنا فحسب، ولكنه خطيئتنا. لأن خيار الحرية البدئي لم يدفع بنا إلى أحضان الحرية، ولكنه ألقى بنا في براثن العبودية الناتجة عن الوقوع في قبضة الزمان. والزمان هو ذلك السلطان الجائر الذي يروق له أن يلتهم أبناء العلامة البادية، برغم أنه لا يملك سلطاناً على سلالة الخافية.

ولهذا فإن مبدأ أبيقور القائل **بوجوب الحياة في الظلّ** إنّما يعبّر عن ضرورة التضحية **بالمجد** الزائف في سبيل تحقيق الحرية الكامنة في **الزهد**. لأن الزهد هو التجربة الروحية التي لا نملك لها بديلاً في سبيل إنقاذ ما يمكن إنقاذه برغم يقيننا بعجزها عن تحقيق

الأمان، لأن العلامة كـ«لطخة» أو «بصمة»، أو بالأصح كـ«**وصمة عار**»، **سوف تبقى سيماء على وجوهنا حتى لا يقتلنا كلّ من وجدنا مثلنا في ذلك مثل سلفنا قابيل.**

esse: لاتينية، طارقية، بذْئية

esse تدل في اللسان اللاّتيني على مبدأ الوجود. وقد استعارتها اللغات الأوربية بهذا المعنى في est (كما في الفرنسية والروسية)، أو في ist (كما في الألمانية)، أو في is (كما في الإنجليزية)، أي بإضافة تاء التأنيث، أو في الاستغناء عنها كما في الإنجليزية.

فإذا جرّدنا الكلمة من حروف العلّة في بداية الكلمة ونهايتها، فإننا نكتشف فيها السين الدّالة في لغة الطوارق على بُعْد **الجوهر** عاريةً. كما تدلّ على كل مبدأ **مستبطن**، أو مشحون، أو حامل **للغز ميتافيزيقي**، كما حلّلنا في بداية هذا الباب. وهذه الهويّة الميتافيزيقية مشروطة بناموس. أي أنها تحوم حول جدول **العلّة**، ولا تهيم عن حقيقته بعيداً. ويبدو أن هذا هو ما جعلها تنوء بحمولاتٍ دلالية ثرية نراها اليوم مختلفة، ولكن عقل التكوين المنهمّ بوضع حدود **للمفاهيم**، رآها **توائم** أنجبها وطن واحد.

فهذه السين بحد ذاتها ما هي إلاّ تعبير عن **الشحنة**، أو **العبوة**، أو **الامتلاء** عموماً. وهي من هذا المنطلق حقّ لها أن تعني تلك السلسلة من المعاني التي تبتدىء بـ«**الجوهر**»، وتمرّ عبر دلالات مثل **النار**، **والإنسان**، ولا تنتهي إلاّ بانتهاء القائمة المتوّجة

باسم **الوجود** ذاته. ذلك أنها تستطيع أن تحوي كل الأبعاد ذات العلاقة بمبدأ مهيب كـ«**الباطن**». هذا **الباطن** الذي يزداد ثراءً واتساعاً كلما تأمّلناه أكثر، بل وكلّما حاولنا أن نستشرف قيعانه أكثر. فهذه **السّين** المتواضعة كحرف تواضع الربّ البسيط في حقيقته، تذهب بعيداً إلى أن تتماهى مع هذا المبدأ الجليل تحمل معنى **الألوهة** أيضاً لسبب بسيط وهو أن الربوبية في حقيقتها النهائية ما هي إلاّ هذا **الجوهر**، أو **الباطن** الذي لا نستطيع أن نفوز برحمته إلاّ **بالتأمّل** الذي لن يكون رحلة روحية بحقّ بدون أن يستوفي شرط **الاستبطان** الذي تروّج له هذه السين في أحد معانيها.

هذا يعني أن الوجود لا يمكن أن يكون خواءً في الجوف، ولكنه **امتلاء**. ولهذا السبب نجد أن كلمة السين (sa) المجرّدة تعني في لغة الطوارق الرقم **السابع** في حساب العدد. وهو رقم لم يكن ليفوز بشرف هذه التسمية لو لم يكن رقماً **سحرياً** في كل الثقافات. وسحريّته كان يمكن أن تستمر ملفوفةً بستور الغموض إلى الأبد لو لم يكشف لنا كاهن الأجيال (بلوتارخ) عن هويّته في معتقدات العالم القديم عندما قال أنه الاسم الآخر المستعار لربّة الخلق الأولى «**تانيت**» المسمّاة عند اليونانيين «**آثينا**» (على ما يروي هيرودوت)، والملقّبة باسم: «**إيزيس**» في ديانة مصر القديمة، والموسومة باسم «**مليت**» في الديانة الآشورية، وباسم «**تامت**» في الديانة السّومرية، إلخ.

من منطوق هذا الحرف البسيط نالت **طيبة** (المصرية) اسمها

الأقدم على الإطلاق في «**عسات**» (لأن العين اسم دخيل على لغة التكوين، ويُقرأ في الأصل ألفاً مهموزةً، والتاء في الكلمة علامة تأنيث) الذي إذا جردناه من حروف العلة صار سيناً عاريةً. وهي مدينة تشترك في الاسم مع «**تامنغست**» الواحة الصحراوية العريقة التي يرجع تاريخها على ما يبدو **إلى الفترة** السابقة على انطلاق الدياسبورا الكبرى من فلوات **الصحراء** الكبرى بسبب كارثة التصحّر، حاملةً في لسانها أسماء عالم التكوين الأوّل لتطلقه على الأوطان الجديدة حيث شاءت لها الأقدار أن تستقرّ.

وكلمة «**غس**» ما تزال تعني في هذا اللسان **النخاع**. وعندما تُطلق على المدينة فإن مدلولها يستعير بُعْداً معبّراً عن **الهوية الدينية** لاسم المدينة الذي لعب دور البطولة في تأسيس **مفهوم** المدينة لا كاسم المدينة ولكن المرادف لكلمة **المعبد**. وهو صفة تظلّ غامضة ما لم تكتسب معناها الكامن في كلمة **روح** كما تطرحها السين في إحدى دلالالتها الكثيرة.

هذه التسمية تهب المدينة بعداً **مقدّساً** وتنزّهها عن حضيض **المعنى الدنيوي**، ليصير إسم «**عسات**» مرادفاً في ترجمته لإسم «**المدينة الإلهيّة**».

وما وجود هذا الحشد المهيب من أعرق المعابد وأعظم المسلاّت في ربوع هذه المدينة مثل الكرنك، ومعبد الأقصر، بل ومقابر وادي الملوك في ضفة الوادي المقابلة، سوى تأكيد لهذه الهوية القدسية الكامنة في الإسم البدئي، والذي حرص ملوكها

على تأكيده في تلك المراحل التاريخية التي دأبوا فيها على إنجاز المعابد الخالدة المذكورة آنفاً.

اسم: عربية، طارقية، بذئية

كلمة **إسم** تركيب من السين الدّالّة على **التعبئة**، ومن الميم الدّالة على **الطبيعة** في اللغات ذات الأرومة البدئية. وهو ما يعني في ترجمته **شحنة الطبيعة**، أو **عبوة الطبيعة**. فأيّ رسالة أراد عقل التكوين أن يمرّرها إلينا بهذه التسمية للتدليل على مبدأ **الإسم**؟

سرّ الرسالة يكمن في سجيّة عقل البدايات الذي اعتاد أن يسمّي الأسماء بأسمائها. أي **بجوهرها** لا بمظهرها كما نفعل نحن اليوم. فالاسم في الأصل مبدأ لا بدّ أن يكشف عن **حقيقة** المسمّى لا **صفة** هذا المسمّى.

وعندما يخبرنا سفر التكوين (كمتن بذئي) أن الربّ علّم آدم الأسماء كلّها في بداية عهده بالوجود، فإن ذلك يعني أن الربّ لم يطلق الحبل على الغارب لآدم في غابة الوجود وإلاّ لكان جنى عليه حقّاً وتركه فريسة مجهول في تجربة منفاه.

وتعليم الأسماء إنما يعني أن الربّ فتح له عينيه على **حقيقة** الأشياء لئلاّ يقع ضحية الجهالة فيما لو لم يتعلّم أسماء الأشياء في رحاب رحلته الدنيوية. وهو ما يعني أيضاً أن المخلوق

الآدمي سوف لن يفلح في أمره إن لم يتعلّم **طبيعة** المنفى الذي يقبل عليه.

هذا من حيث المبدأ.

من جانب آخر عوّدنا العقل البدْئي في بداية علاقته الملتبسة بالمفاهيم أن يطلق على المخلوق البشري اسمين اثنين بدل الاسم الواحد. أوّلهما عند الولادة، وهو اسم مبدئي قد يُطلق تيمّناً بسلف نال نصيباً من بطولة، أو أوتي علماً في الكهانة، أو ما إلى ذلك من ألقاب قد تُرجى له في المستقبل. أمّا ثاني الأسماء فهو الاسم **الحقيقي** الذي ينسجه الوليد لنفسه بيديه ويبدعه من تجربته سواء أكانت هذه التجربة مسلكاً يومياً، أو عملاً بطولياً، أو سلطاناً، أو حظّاً في ثروة، أو حظوة لدى ملّة النساء. وهو ما يعني بعبارة أخرى تحقيق **طبيعته** الخبيئة في الأرومة الجينية التي تتكشّف مع الزمن ولا يملك عليها الخلق سلطاناً، بل لا يملك حتى صاحبها عليها سيطرةً أو سلطاناً.

هذه الطبيعة **الأخلاقية** هي التي تحقّق للإنسان اسمه الثاني فيطلق لسان بدْئي كاللسان المصري القديم على ملوكه وكهنته وأكابر قومه أسماء لها دلالة **عملهم**، أو وظيفتهم التي أفلحوا فيها من دون الوظائف جميعاً، أو **مسلكهم** النابع من **طبع** لا حيلة لهم فيه.

وعلّ الدليل على ذلك هو الاسم المتداول في اللغات الهند

أوربية لهذه الكلمة في Name الجرمانية، أو name الإنجليزية، أو nomen اللاتينية، أو to onoma اليونانية القديمة، وهو تركيب من نون **الإضافة**، أو **الملكية**، مضافاً لها **ميم الطبيعة** ليصبح المعنى: **ذو الطبيعة**، أو **صاحب الطبيعة** كناية عن الاسم.

في اللسان اللاتيني يختلف **الأمر قليلاً**، **لأن** الميم في هذه التسمية تعقبها نون أخرى في men. وهي كلمة تعني **روح**، أو **نفس**، ليصير التعبير مترجماً: «**ذو الروح**»، أو **صاحب النفس**، للتدليل على كلمة إسم. وهو تعبير كما هو واضح لا يختلف في مدلوله النهائي عن بقية التعابير في اللغات الأخرى.

أمّا فحوى الرسالة النهائي الذي تعمّد عقل الدهاء أن يبثّه في روح الأجيال لإعطاء معنى الاسم فهو ضرورة أن نحترس وألاّ نستبق الأحداث في إطلاق الأسماء على الأبناء إذا شئنا ألا نطلق الأسماء جزافاً. ذلك أن الحياة الدنيا هي التي تأخذ على عاتقها مهمّة تسميتهم فتطلق عليهم من الأسماء ما يناسب **طبيعتهم** التي لا تلبث أن تعلن عن نفسها من خلال المغامرة الوجودية المسماة في لغتنا اليوم دنيا.

فاء الضياء

(F, V)

فرّ: طارقية، عربية، هند أوربية، بذئية

حرف الفاء (فا) في اللسان البذئي يحمل معنى النور كما ورثناه في لغة قدماء المصريين، وكذلك في لغة طوارق اليوم. كما استعاره اللسان اليوناني القديم في «fus»، وعَبر منها إلى ألسنة أوربا فنجده في Feuer الألمانية الدّالة على النار. وفي fire الإنجليزية إلخ.

وهذه الفاء، المشتقّ منها اسم **النور**، وكذلك **النار**، مستعارة في الأصل من صوت النار عندما تلتهم الحطب بذلك **الفحيح** المثيل لصوت الحيّة، سيّما إذا أخذنا في الاعتبار ما توصلنا إليه في تحليلات الأجزاء السابقة من خضوع **المفهوم المجرّد للتجربة الحسية** حسب ناموس العقل القديم. وعلّه من الطريف أن نكتشف أن كلمة **فحيح** (من خلال جذرها **فحّ**) مستعارةً بدورها من ذات المبدأ؛ لأن الأصل في هذه اللفظة هو الفاء مجرّدةً، أمّا الحاء فهي إبدال شائع من الألف المهموزة، أي أنها رديف كامل لكلمة «**فا**» كما ينطقها طوارق اليوم ومصريو الأمس تماماً.

من جعبة هذا الحرف النبيل تدفقت قائمة كاملة من المفاهيم الميتافيزيقية والدنيوية. فبإضافة حرف الراء الدّال في البذئية على

الزمان الغابر نكتشف في «فر» طائفة ثرية من الدلالات أوّلها معنى الإخفاء كما نجده ما يزال متداولاً في لسان الطوارق إلى اليوم. وهو تعبير يعني من ضمن ما يعني مبدأ الفرار في العربية المشتق من الجذر «فرّ» أيضاً. وتفسير العلاقة بين الكلمتين واضح، لأن مبدأ الخفاء ما هو إلاّ فرار من مجال المرئي والغياب في مجال اللامرئي، أي الخفاء.

ولمّا كنا قد اكتشفنا في التحليلات السابقة أن الراء تحمل معنى آخر كامن في مبدأ التكوين، أو التشييد، في ur كمصطلح ثريّ اشتقت منه اللغات الأوربية أبعاداً سخية أهمّها المعمار في urbanistic، فإن كلمة فر (fr) لا بدّ أن تعني أيضاً: سيادة الضياء، أو سلطان الضياء، أو سيطرة النور، أو سموّ النور، وكلّها مدلول واحد لعدّة مترادفات.

من هذه الدلالة انبثق اسم «أفرا» (fr) المتداول في لغة الطوارق كرديف لاسم الصحراء. فلماذا يطلق اللسان البدئي على الخلاء كلمة «أفرا»؟ السرّ يكمن في المفهوم المستعار من مبدأ الضوء (فا) عندما يقترن بمبدأ بدئي آخر هو السيادة، أو الطغيان الكامن في مبدأ العلوّ، أو السمو المتمثّل في ur، أي الراء. ذلك يعني بدهاء أهل التكوين أن الصحراء لم تكن لتكون صحراء بحقّ لولا سلطة الضياء (أفرا) التي يمثلها معبود هو الشمس. ولهذا فإن تسلّط الشمس على كائنات الطبيعة يؤدي حتماً إلى التصحّر.

قد يبدو النعت طفولياً، ولكنّنا لو استعرنا لأنفسنا دور إنسان

البدايات المهموم بتأسيس مفاهيم المغامرة الوجودية لما وجدنا تعبيراً أصلح لتسمية الصحراء غير كلمة «**أفرا**» هذه الدّالة في معناها الحرفي على **سلطان الضياء**، أو **طغيان الضياء**.

ويقيناً أن دهشتنا سوف تتجاوز كل حدّ عندما نعلم أن كلمة **أفريقيا** التي حيّر اسمها الحكماء منذ فجر التاريخ إلى اليوم إنما استعارت اسمها من كلمة «**أفرا**» هذه، لأن الأصل في اللفظة هو **أفري**، أو **فرّ** مجرّدةً، وما ica سوى إضافة لاتينية للكلمة في حال الصفة.

فإذا تساءلنا مرّة أخرى عن السرّ الذي يجعل لسان التكوين يطلق اسم «**أفرا**» على قارّة بكاملها كما ورثه لسان الطوارق اليوم، فإن الإجابة سوف تكون أبسط مما قد نتوقّع. فالصحراء الكبرى هي **العلامة الفارقة** لهذه القارة الشاسعة المسماة أفريقيا. ولو لم تكن علامة فارقة لما أُطلق عليها هذا النعت الجليل الذي يصفها في كل اللغات باسم **الكبرى**. وقد اعتدنا أن أسماء الجغرافيا ونعوت الأمكنة في العالم القديم إنما كانت تسمّى بمثل هذه العلامات الفارقة بالذّات، ولا حاجة بنا لضرب الأمثلة على ذلك. ولهذا فإن من حقّ لسان البدء أن يسمّي هذه القارة باسم **الصحراء** (أفرا) لأنها وطن يغرق في أحضان هذا المحيط العاري الذي يترامى بلا بداية ولا نهاية.

من تركيب فرْ (fr) هذا استعارت اللغات الأوربية سلسلة من المفاهيم الحميمة في علاقتها بالأصل.

ففي الألمانية مثلاً نجد أن كلمة ferien الدّالّة على **الإجازة** ما هي إلاّ استعارة لمبدأ فر fr كـ«**فرار**». لأن ما هي الإجازة في حقيقتها إن لم تكن **تحرّراً** من العمل، أو بالأصح **فراراً** منه؟

ليس هذا فحسب، ولكن كلمة frei (المرادفة لـ free الإنجليزية) الدّالة على **التحرّر** ما هي إلاّ استعارة حرفية من الجذر البدئي **فر** الدّال على **الإخفاء**، أو **الاختفاء**، على حدّ سواء.

لأن السؤال مرة أخرى هو: ما هو **التحرّر**، أو الحرية على نحوٍ أشمل، إن لم يكن ضرباً من ضروب **الاختفاء** عن مجالٍ ما يتهدّد هذه الحرية بأجناس العبودية؟

ذلك يعني أن **فر** هنا التي تعني صحراء هي الاسم الشرعي لمبدأ الحرية، لأن الصحراء في امتدادها، وعرائها، وبساطتها، وتسامحها، وخلوّها، ما هي إلا **حرّية** تنزّلت من عليائها في السماء وتجسّدت في حضيض هو الأرض.

من **فر** هذه استعارت اللغة الألمانة كلمة Ver التي لا تستبق كلمة من كلمات هذه اللغة إلاّ دلّت على معنى **الإخفاء**، أو **الارتداد**.

وفي لغة الطوارق، بل وفي لغات شمال أفريقيا، نجد أن كلمة **أفران** (أي بإضافة نون المغالاة) إنما تعني: **حليق** (الشّعر). كما تعني أيضاً **وسيم**، لأن **التحرّر** من الشعر كان يعدّ، وما يزال، ضرباً من **التجمّل**.

من هذه الكلمة استعارت مدينة **إفران** في المغرب الأقصى اسمها، كما استعارته مدينة **يفرن** بجبل نفوسة في ليبيا.

وفي الإنجليزية ثمّة كلمة مستعارة من ذات الجذر (فر) هي كلمة fair الدّالة على **العدالة**، وكذلك على مبدأ **الجمال** (لأن العدالة ضرب من جمال). أي أنهما **سلطة ضياء** كما تدلّ كلمة **فرّ** (fr)، وسلطة الضياء بالضرورة **سلطة جمالية**، لأن الضياء مبدأ رديف **للربوبية**.

ومن الملاحظ أن إضافة حرف رديف من حروف الثالوث الربوبي (الراء واللام والنون) إلى أيّ كلمة من الكلمات لن يغيّر من مضمونها عادةً. فإذا استبدلنا الراء في «**فرّ**» باللاّم مثالاً فإنّ **فل** الناتجة عن ذلك سوف تعني بلسان البدء **هجر**، أو **ترك** كما تجري على لسان الطوارق إلى اليوم. وهي كما نلاحظ كلمة قرينة مضموناً لكلمة «**فر**». لأن مبدأ **الفرار** ما هو في حقيقته سوى **هجرة**. وهو يرادف كلمة «**فلّ**» العربية الدّالّة على الفرار أيضاً.

والترادف لا يقتصر هنا على لغتين ذات أصل بذئي واحد كالعربية والطارقية ولكنه يشمل اللغات الأوربية سيّما الجرمانية. فكلمة Voll الألمانية، التي تُكتب full بالإنجليزية، الدّالة على **الامتلاء** ما هي إلاّ استعارة من **فل** البذئية. لأن **الامتلاء** ما هو في نهاية المطاف سوى **فيوض**. والفيض **انتقال** من حال إلى حال. أي رحلة من مبدأ **خواء** لتحقيق إنجاز مضادّ هو **الامتلاء**. أي أن العملية هي سيرورة **يهجر** فيها جوهر مّا حيّزاً مّا ليحقق مستوى

آخر. وهو ما يعني أنه **تحوّل**. فإذا افترضنا أنّنا بصدد الحديث عن وعاء ملآن ماء، فإن امتلاء الوعاء لا يتحقّق إلاّ إذا **ارتفع** مستوى الماء في الوعاء **لينفي** الخواء في الوعاء. والارتفاع هنا هو **تخلٍّ**، أو هجران، لحيّز والانتقال **لشغل** حيّز آخر أبعد مسافةً. أي أن الأمر لا يعدو في النتيجة أن يكون **فراراً** من مكان لاحتلال حيّز في مكان آخر. وهو أيضاً عملية **اختفاء** (فر) مستمرّة، لأن السيرورة هنا أشبه ما تكون بمطاردة من مكان معلوم إلى مكان آخر مجهول.

هذه حيلة لا ينقصها الدهاء استخدمتها عبقرية عقل التكوين في نضالها النبيل في سبيل تكوين المفاهيم المجرّدة استخلاصاً من أدغال التجربة الدنيوية.

وما يقال عن اللام والراء يمكن أن ينسحب على النون التي إذا أُضيفت إلى حرف الفاء صارت «**فن**» التي إذا أضفنا لها حروف العلّة المفقودة صارت **فناء**. وهي كلمة ترادف «**فر**» بمعنيها. أعني سواء أكانت في معنى الفناء المرادف لكلمة **زوال** (لأن الزوال ما هو إلاّ انتقال من حال **حضور** إلى حال **غياب**)، أم في معنى **الفِنَاء** بالمعنى الذي يُطلق على **الساحة** في صحن أيّ بيت (لأن الساحة ما هي إلاّ ذلك **الفراغ المهجور**، والهجرة هي ضرب **فرار** «**فر**»).

وعندما يريد اللسان الألماني أن يعبّر عن هياج مارد كالبحر لا يملك إلاّ أن يستعير من لسان البدايات كلمة Welle الدّالة على ذلك النوع من الامتلاء المسمّى في العربية **موجاً**. أمّا في لسان الطوارق فإن هذه الظاهرة يمكن أن تسمّى «**أفلاّ**»، أي أن هذا

اللسان لا يملك إلاّ أن يستخدم ذات البُنْيَة المركّبة من الفاء واللاّم والمتمثّلة في **فل** (fl). وهو استخدام له ما يبرّره إذا استعدنا الفعل المؤسس لهذه الظاهرة. فالموج ليس مجرّد حركة مدفوعة بأنفاس ماردنا البحر، ولكنه **اندفاع** لا يعدم علّةً. وسرّ هذه العلّة يستخفي في **الامتلاء**. والامتلاء عندما يكتمل نستطيع أن نطلق عليه نعت **العلوّ**. أي ارتفاع الغمر إلى مستوى **أعلى** بالمقارنة مع سطح الماء. هذا العلوّ هو ما يطلق عليه لسان الطوارق اسم «**أفلاّ**» استعارة من الجذر «**فل**» المتداول في لغة التكوين. وهكذا حقّ للسان ذي تقاليد بذْئية أن يستخدم ذات الكلمة في Welle الدّالة على الموج.

ولكن ألا تبدو كلمة Welle قرينةً أخرى لكلمة Wille الألمانية أيضاً والدّالة على **الإرادة**؟

أليست الإرادة في أرومتها الأصلية ضرب من **طاقة تفيض** عن الحدّ فتتطوّر لتبلغ مداها في **الفعل**؟ أليس من حقّ عقل عبقري ينسج خيوط حكمته الميتافيزيقية من أصواف أمّنا الطبيعة كما يفعل عقل التكوين أن يشتق **الفعل الإرادي** من ظاهرة كالموج؟ أليس الموج في النهاية هو **إرادة البحر**؟

إفري (عبري): حاميّة، ساميّة، هند أوربية، بذْئية

أفرا، أو **إفري** (المشتقة من «أفرا») اسم أهل الصحراء الكبرى، أي طوارق اليوم، كما تكشفه لنا مصادر العالم القديم سيّما اللاتينية واليونانية. وهو حتماً مستعار من كلمة **أفرا** (أو إفري) التي يطلقها الطوارق على **الصحراء** لتستعير منها القارة الأفريقية بكاملها اسمها منه.

ولو تأمّلنا اسم «**إفري**» هذا قليلاً فسوف نكتشف أنه هو ذات الاسم الذي تطلقه ألسنة أوربية كثيرة على الأمّة العبرانية كالروسية في Evrei المستعارة من اليونانية. وبعودة سريعة إلى ناموس الإبدال نجد أن كلمة **عبري** السامية في حدّ ذاتها ما هي إلاّ كلمة **إفري**، لأن العين ما هي إلاّ ألف مهموزة في كلمة «**عبري**» كما دلّلنا مراراً في هذا السياق. أمّا الباء فليست سوى استبدال مشروع وشائع جدّاً من الفاء سيّما في اللسان اليوناني. هنا تتجلّى معالم كلمة **عبري** التي لم تكن في الأصل سوى كلمة **إفري** الدّالة في لسان الطوارق على **الصحراء** كاشفةً بذلك لا على مجرّد كلمة، ولكن عن **هويّة**! هذه الهويّة ذات الجذور المشتركة مع أهل الصحراء الكبرى لانتماء كلا الأمتين إلى أرومة بذْئية واحدة برهنت

عليها أدلّة كثيرة في هذا البيان قبل أن تأتي **العبارة** أخيراً لتميط اللثام عن حقيقتها الأخيرة.

من هذه الكلمة (إفري) لم تنبثق كلمة **عبري** فحسب **كهوية صحراوية**، ولكن تجلّى مبدأ **العبور** الكامن في كلمة **عبري**؛ لأن لفظة **عابر** السامية ما هي إلاّ الاشتقاق الأكثر بديهية من كلمة **عبري**. والعبور كما نعلم عقيدة يعتنقها كل **صاحب صحراء**. لأن لا معنى للعبور في أوطانٍ لا وجود فيها لمدى صحراوي (إفري). ولهذا كان من الطبيعي أن ينتحل سليل الصحراء، أي صحراء، لنفسه اسم: **عابر** إلى حدّ صار فيه مبدأ العبور قريناً، بل رديفاً، حميماً لمبدأ الصحراء؛ هذا قبل أن تكشف لنا لغة الطوارق، كوريث وحيد في عالم اليوم للغة التكوين، عن أرومتهما الواحدة، بل وحقيقتهما الواحدة. ولا زال اللسان الروسي (كاستعارة من اللسان اليوناني) ينعت اللغة العبرية باسم **«إفريت»**، أي **الصحراوية**، في حين يستعير اللسان الجرماني اسمها اشتقاقاً من **عبري** في كلمة Hebraisch (أي العبرية) قبل أن يتوصّل هذا التحليل إلى اكتشاف هويّتهما المشتركة لا في **المفهوم** الذي أوضحه اسمهما الواحد فحسب، ولكن عن انتمائهما السلالي الذي كان دائماً موضع تساؤل وأكبر من مجرّد الاشتراك في الاسم. وعلّ المتأمّل في متون هذا البيان بأجزائه المختلفة سوف يكتشف الحقائق القادرة على إرواء الظمأ في هذا المجال.

فرات (فراو): سومرية، طارقية، ألمانية، بذْئية

الفرات هو اسم أحد النهرين في بلاد الرافدين. وقد توارثته الألسن منذ ما قبل التاريخ استعارةً من السلالة البذْئية المؤسّسة لحضارة سومر.

ولمّا كنّا قد دلّلنا مراراً على وجود معنى مّا لكل مسمّى برغم فقدان المعاني لأغلب الأسماء التي توارثناها عن حضارات ما قبل التاريخ، فاليقين أن لأسماء الأنهار أيضاً دلالة لا تختلف عن دلالات بقية الأسماء. وهي دلالات لم تُطلق اعتباطاً، ولكنّها نعوت تعبّر عن طبيعة الكائن المسمّى بالضرورة. فإذا استعدنا تاريخ الحضارة السومرية فإننا لن يكون من قبيل الاكتشاف أن نقول أن سرّ هذه الحضارة حميم الصلة بغمر النهرين الخالدين مثلما كانت الحضارة المصرية هبة نيليّة تماماً.

أمّا إذا استرجعنا التفاصيل وتأملنا المعطيات التاريخية القائلة أن سرّ حضارة سومر إنما يكمن في تلك القنوات المائية التي شقّها إنسان ذلك الزمان، فإن الحضارة هنا لا تعود هبة الماء مجرّداً، ولكنها غنيمة عمل عبقري روّض الغمر وطوّعه لتأدية وظيفة إرواء الأراضي الزراعية. وفوق صروح هذه النهضة الزراعية

تأتّى الاستقرار الذي أنجب تلك الحضارة الاستثنائية في تاريخ البشرية.

وإذا كانت المتون التاريخية قد اجتهدت في تأويل لإسم نهر دجلة، فإنها لم تعر اهتماماً كبيراً لتفسير نهر الفرات. وعلّ لسان الأوائل سوف يهبّ لنجدتنا هنا أيضاً عندما نعلم أن كلمة **فرات** (كما ترد على لسان الطوارق اليوم) إنما تعني حرفياً: **القناة المائية**. هذه القناة التي كانت سرّ الحضارة السومرية برمّتها، حتى أن هذه الحضارة لم تشهد الانهيار إلا في الزمان الذي انهارت فيه قنوات الري هذه بسبب غزوات القبائل الأكّادية المستمرّة.

وكلمة **فرات** تأنيث لكلمة **أفرا**. وتُنطق في لغة الطوارق بتاء تأنيث أخرى تسبق الكلمة كما تنتهي بها لتصبح هنا: **تفرات**، أو **تفراوت**. وهي خاصيّة لغوية في لغة الطوارق سبق تناولها.

وفي شمال أفريقيا، على شواطىء بحر ليبيا، تقوم جزيرة باسم: **فروة** (فروت) استعارةً من كلمة **فر** الدّالّة على **الخلوة**، أو **المدى** كما بيّنا. هذا المدى الذي لم يكن ليكون امتداداً، أو خلاء، لو لم يكن **امتداداً**. أي سهلاً محدّداً.

كما يمكن للكلمة (فرات، أو فروة) أن تكون اشتقاقاً من كلمة (**أفراو**) الدّالة على **الفرع**، أو **الضلع**، وكلّها استعارة من الجذر **فر** (أفرا).

ففي اللغة الألمانية يُطلق على المرأة اسم Frau الدّالة في لغة

الطوارق على الفرع، أو الضلع. وهو أمر سوف يذكّرنا فوراً بالإصحاحات الأولى من سفر التكوين عندما خلق الربّ المرأة (Frau)، أو فرعاً (أفراو) من صدر آدم.

fressen (فرس):
جرمانية، طارقية، عربية، بذْئية

fressen بالألمانية تعني **يلتهم**، أو **يقطع**، أو **يمزّق** (بأنياب حيوانية). وهي في صيغة الفعل. وبإسقاط الـen نحصل على الاسم أو الجذر المتمثّل في fress. هذه الـfress ما هي إلاّ **فرس** الدّالّة في لغة الطوارق على **القطع** أيضاً؛ فيقال على سبيل المثال «**فرس تيجّاد**» للتدليل على **قطع المسافة** في هذه اللغة البذْئية. كما يقال **تفرست** (بإضافة تائي التأنيث) للتدليل على **الشظية الحجرية الحادّة الحواف** التي كانت تستخدم في العصور الحجرية الأولى **كسكين**، أو **أداة قطع** الأشياء، أو نحر الأنعام، إلخ.

من هذه الكلمة التكوينية استعارت العربية كلمة نبيلة لها أهميّتها الاستثنائية في هذه اللغة هي: **فرس**. وهي كما هو واضح استعارة حرفية لفظاً ومعنى من **فرس** البذْئية المتداولة في لسان الطوارق والدّالّة على مبدأ **القطع** سواء أكان **قطعاً** لمسافة، كما هو الحال في الطارقية، أم **قطعاً** بأنياب وحشية، كما هو الحال في الألمانية.

فكلمة فرس العربية أداة لقطع المسافة أيضاً. أي أنها تستخدم لذات الغاية، ولا يكمن الاختلاف عن اللغتين الشقيقتين السالفتين سوى في طبيعة الأداة بوصفها حيوان أعجم في العربية بعد أن كان أداة صمّاء في لغة الطوارق (سكين حجرية)، وانقلب ناباً قاطعاً بين فكّي حيوان كاسر في الألمانية. وهو أمر يدل على أن همّ العقل البدئي الذي انبثقت منه كل هذه اللغات منهمّ بالمفهوم الذي تستمد منه هذه اللغات مفردات نشاطاتها اليومية، ولكنه غير عابىء بأوجه هذه النشاطات. هذه الأوجه التي تفرض استعمالات للمفردة المفهومية على نحوٍ يبدو لنا طريفاً اليوم، بل ومثيراً للدهشة بسبب نزعة طفولية لا تنقصها الفطنة ولا الدهاء.

وفي اللغة العربية تتردّد كلمة فراسة في مدلول حدّة الذكاء. وهي حدّة ذهنية بالطبع، ولكنها مفهوم مستعار من الحدّة المادية الكامنة في شراسة الشظية الحجرية التي تقطع الأشياء بالطريقة نفسها التي تقطع فيها الفرس المسافة في رحلة السفر. أي أن العقل البدئي برهن لنا مرّة أخرى على مرجعية التجربة الحسيّة في تأسيس المفاهيم المجرّدة. وعل عبارة شائعة مثل فعل «يتفرّس» الدّال على حدّة التحديق ناجم عن استثمار هذا الناموس العبقري.

وإذا كنّا قد برهنّا بما يكفي من الأدلّة على انتماء اللغات الهند أوربية إلى ملكوت اللغة البدْئية فهل نستهجن بعد هذا كله أن تهاجر كلمة فرس هذه (فرست في حال التأنيث) لتحطّ على شعاف جبال الهملايا لتسم أعلى قمّة جبليّة على كوكب الأرض باسم

«إفرست» سيّما وأن جِرْم هذه القمّة مثيل في شكله وفي حدّة انتصابه عبر الفراغ لتلك القطعة الحجرية الحادّة التي أطلق عليها لسان البدايات اسم فرس؟

فطر (فتر): عربية، طارقية، مصرية قديمة، بذئية

الطّاء في **فطر** إبدال من التاء، وأصل الكلمة **فتر** التي هي تركيب من **فاء النور** مضافاً إليها مصطلح **تر** التي ترد في المتون المصرية القديمة كـnuter، أي بإضافة نون الإضافة، أو الملكية، الدّالّة على **القداسة**، وفي لغة الطوارق على **الابتهال**، أو كل مبدأ **محرّم**. وهكذا فإن البنية سوف تعني: **نور الابتهال**، أو **قبس الصلاة**، كنايةً عن فعل الإفطار.

والعقل البذئي لم يكن ليطلق هذا الاسم على طقس الإفطار لو لم يكن عقلاً ديّناً بطبيعته إلى أبعد حدود التديّن. فالإفطار بالنسبة لناموسه ليس **التهاماً لطعام** يغذّي في الإنسان البدن، ولكنه **شعيرة دينية**. هو شعيرة **صلاة** لا تختلف عن حركة الباطن المتمثلة في **التأمّل**. أي أن الإفطار هو **إطعام للروح** قبل أن يكون شدّ أزر للجسد. ولهذا السبب نجد المراجع الإسلامية تحثّ على ضرورة تناول طعام الإفطار حال حلول موعده في غروب أيام شهر رمضان وعدم تأجيله بأي حال حتى لتأدية صلاة المغرب يقيناً من هذه الديانة بقداسة فعل الإفطار، واعتباره ضرباً من ضروب الصلاة في حد ذاته لا يختلف عن صلاة المغرب ذاتها حتّى كاد يصير بديلاً عنها.

وللبرهنة على عمق هذه النزعة في عمق إنسان التكوين نسوق مثالاً آخر مستعاراً من سفر الجامعة حيث ترد عبارة ذات دلالة هي: «لا خير في أمّة يأكل رجالها في الصباح» التي تعني أن **النهم** الذي يدفع الناس لخرق التحريم والتهام الأطعمة في كل صباح هو عمل لا أخلاقي من قبيل التجديف في حقّ الناموس الربوبي الذي فرض الصيام في كل صباح، وعندما أعجزه الجشع البشري إلى المآكل سنّ شهر صيام في العام كما هو الحال بالنسبة للديانة الإسلامية، أو عدّة أيام في العام كما هو الحال بالنسبة للديانة المسيحية، أو عدّة أيام في العام كما هو الحال في الديانات الأخرى، كأسلوب تطهيري روحي لا يختلف عن تأدية فريضة الصلاة التي لم تكن يوماً حركة بدن، ولا أمنية مرفوعة إلى الربّ، ولكنها رحلة تأمّل، وبالتالي، **ملحمة حرية**.

من **فطر** هذه انبثقت كلمة **فطرة** العربية الدّالة على **البراءة**. هذه البراءة التي لم تكن لتصير فردوساً مفقوداً لو لم تتغسّل بسلسبيل تلك **الحرية** التي دفعناها ثمناً **لخطيئة** أضعنا بموجبها فردوس الفطرة.

فتيل: طارقية، عربية، هند أوربية، بذْئية

كلمة **فتيل** تركيب بذْئي من فاء الضياء زائد **تل** الدّالة في لغة تكوينية ذات حرف ساكن واحد كلغة الطوارق على معنى **الربط**، أو **اللّف**، وترادفها العربية في **يفتل** الدّالة على **الحبك**، أو عملية **الجذل**. فأي سرّ حذا بلغة الطوارق أن تُسْقِط الفاء في **تل** وتُبقِي على التاء واللاّم وحدهما للتعبير عن عملية **الضفر** هذه؟

السرّ يكمن في معاملة الكلمة كبُنية ملفّقة من عدّة كلمات كما هو الحال مع لغة التكوين ذات الحرف الساكن الواحد. ففي حين اعتمد لسان العرب البُنية كاملةً للتعبير عن عملية **الحبك**، اختارت لغة ورثة لسان التكون الفصل بينهما بوصفهما كلمتين اثنتين لا كلمة واحدة. ذلك أن مدلول كلمة **فتيل** تركيب يعني في مجمله: **حبكة الضوء**، أو **جديلة النور** (الفاءت ضياء، وتل = حَبْك). ولكن كلمة **فتل** العربية تستثني من قاموسها معنى **الضوء** كما تُستخدم اليوم، وتكتفي بمعنى **الحبك**، أو **الضفر** مجرّداً. أمّا في لغة الطوارق فيجري إسقاط الفاء الدّالة على النور من البُنْية، ويكتفي اللسان بـ«**تل**» للتدليل على عملية **الجذل**، أو الحَبْك. وهو

فصل مبرّز لأنه يعي روح لغة التكون في نزعتها التركيبية **الغائبة** عن علم اللغات عبر العصور.

هذا الغياب الذي كان العلّة الحقيقية لضياع مفتاح اللغة الأصلية التي انبثقت منها الألسن ذات الطبيعة الروحية، حتى أن هذا العلم (علم اللغات) لم يعلم من حقيقتها سوى مبدأ واحد هو أنها **ذات حرف ساكن واحد.**

وعلّ إغفال مبدأ التركيب هذا هو الذي حذا بلسان ذي جذور بذْئية كالعربية أن يرث كلمة **فتل** برمّتها ليدلّل بها على **الحبكة** مجرّدةً، في حين دلّ في لغة أقرب عهداً بلغة التكوين (كلغة الطوارق) على **حبكة النور**، أو **جديلة الضوء**. من بُنْية **«فتل»** هذه استعارت اللغات الأوربية كلمة استثنائية ما لبثت أن صارت مصطلحاً هي: fatal الدّالة على **الجبرية**، أو **القدرية**.

فناموس عقل التكوين الذي عوّدنا أن يبدع لنا من صلب التجربة الدنيوية مفاهيم حياتنا الروحية هو الذي شاء أن يستنبط مدلول ببُعْد ميتافيزيقي **كالجبرية** من فعل يومي بسيط هو **الفتل** الدّال على **الحبك**. لأن السؤال هو: ما هي **حقيقة** هذا الفعل البسيط الكامن في كلمة **فتل**؟ ولماذا لم تُسقط اللغات الأوربية حرف الفاء (الدال على الضياء) من تركيب **فتل**؟

حقيقة **الفتل** تكمن في روح اجتهاد تُؤمّن إتقان حبك مادّة مّا (حبل مثلاً) بقصد تأهيلها لتأدية وظيفة مّا.

وهو عمل محفوف بالأخطار لأنّه ينطوي على **عسر** يستدعيه بذل طاقة استثنائية كافية لتحقيق **القسرية** الناجمة عن عملية الفتل المعبّر عن درجتها القصوى في فعل آخر هو **الزمّ** (زَمَّ، يزمّ، مزموم). في إنفاق الجهد الأقصى بهدف إنجاز مبدأ الزمّ يكمن سرّ ميتافيزيقي شبيه بالجهد المبذول في مخض الشكوة لاستخراج كنز هو الزُّبْد، أو حرق المعدن بالنار على طريقة أهل السيمياء لاستخلاص الذهب. أي أن التحوّل هنا لا يحدث بدون أعجوبة استخدام طاقة أخرى **استسرارية** لإنتاج **المبدأ المجهول**. من هنا كانت النزعة الجبرية مبدأ **استعصاء**. بل مبدأ **غَضَب**، أو **استحالة**؛ لأن إرادة الإبداع التي أنتجتها لم تكتفِ باستعمال قوانين الطبيعة في خلقها، ولكنها استعانت إلى جانب ذلك بقوانين ما وراء الطبيعة التي نسمّيها نواميساً روحية، وربما **ربوبية** وذلك باستثمار بُعْد آخر يتخفّى بعيداً في مبدأ الضوء المعبّر عنه بحرف الفاء. وهو ما يعني أن **الفتل** وحده (بدون إسقاط لفاء النور) يستطيع أن ينجز فعل الجبرية (fatal) ويهب المبدأ روحاً ميتافيزيقية.

(نهاية الجزء السابع ويليه الجزء الثامن)

مؤلفات ابراهيم الكوني

1 ـ الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص) 1974م.

2 ـ جرعة من دم (قصص) 1983م.

3 ـ شجرة الرتم (قصص) 1986م.

ـ رباعية الخسوف 1989م.

4 ـ البئر (رواية).

5 ـ الواحة (رواية).

6 ـ أخبار الطوفان الثاني (رواية).

7 ـ نداء الوقواق (رواية).

8 ـ التبر (رواية) 1990م.

9 ـ نزيف الحجر (رواية) 1990م.

10 ـ القفص (قصص) 1990م.

11 ـ المجوس (رواية) الجزء الأول 1990م.

12 ـ المجوس (رواية) الجزء الثاني 1991م.

13 ـ ديوان النثر البرّي (قصص) 1991م.

14 ـ وطن الرؤى السماويّة (قصص) 1991م.

15 ـ الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص) 1992م.

16 ـ خريف الدرويش (رواية ـ قصص ـ أساطير) 1994م.

17 ـ الفم (رواية) 1994م.

18 ـ السحرة (رواية) الجزء الأول 1994م.

19 ـ السحرة (رواية) الجزء الثاني 1995م.

20 ـ فتنة الزؤان (رواية) 1995م.

21 ـ برّ الخيتعور (رواية) 1997م.

22 ـ واو الصغرى (رواية) 1997م.

23 ـ عشب الليل (رواية) 1997م.

24 ـ الدمية (رواية) 1998م.

25 ـ صحرائي الكبرى (نصوص) 1998م.

26 ـ الفزاعة (رواية) 1998م.

27 ـ الناموس (الجزء الأول) 1998م.

28 ـ في طلب الناموس المفقود (الجزء الثاني من الناموس) 1999م.

29 ـ سأسِرُّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة روائية)، الجزء الأول، الشرخ، 1999م.

30 ـ أمثال الزمان (الجزء الثالث من الناموس) 1999م.

31 ـ سأسرُّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة روائية)، الجزء الثاني، البلْبال، 1999م.

32 ـ سأسرُّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة روائية)، الجزء الثالث، برق الخُلّب، 1999م.

33 ـ وصايا الزمان 1999م.

34 ـ نصوص الخلق 1999م.

35 ـ ديوان البر والبحر (نصوص) 1999م.

36 ـ الدنيا أيام ثلاثة (رواية) 2000م.

37 ـ نزيف الروح (نصوص) 2000م.

38 ـ أبيات (نصوص) 2000م.

39 ـ بيت في الدنيا وبيت في الحنين (رواية) 2000م.

40 ـ رسالة الروح.

41 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 1 أوطان الأرباب 2001م.

42 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 2 أرباب الأوطان 2001م.

43 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 3 أرباب الأوطان 2001م.

44 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 4 (المقدمة في ناموس العقل البدئي).

45 ـ بيان في لغة اللاهوت (ملحمة المفاهيم) جزء 5

46 ـ منازل الحقيقة 2003م.

47 ـ أسطورة حب إلى سويسرا 2003م.

48 ـ لحون في مديح مولانا الماء 2002م.

49 ـ البحث عن المكان الضائع (رواية) 2003م.

50 ـ أنوبيس (رواية) 2002م.

51 ـ الصحف الأولى (أساطير ومتون 2004م).

52 ـ مراثي أوليس (رواية 2004م).

53 ـ صحف إبراهيم (متون 2005م).

54 ـ المحدود واللامحدود (متون 2002م).

55 ـ ملحمة المفاهيم (موسوعة البيان) ج6، 2005م .

56 ـ ملكوت طفلة الربّ (رواية) 2005.

57 ـ لون اللعنة (رواية) 2005م.

58 ـ هكذا تأَمَّلَتْ الكاهنة ميم (متون) 2006م.

59 ـ ملحمة المفاهيم ج3، (موسوعة البيان) ج7، (2006م).

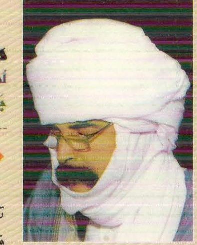
مؤلفات إبراهيم الكوني النظرية

60 ـ نقد ندوة الفكر الثوري 1970م.

61 ـ ثورات الصحراء الكبرى 1970م.

62 ـ ملاحظات على جبين الغربة 1974م.

الفهرس



ملحمة المفاهيم 3

لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر

بيان في لغة اللاهوت 7

◆ ولكن ما معنى العلامة كاستظهار ؟

العلامة كاستظهار تعني الخطر ! العلامة كاستظهار تعني اللعنة ! فكما أنّ الكَلِمَ وجود في الباطن ، كذلك فإنّ العلامة وجود في البادية .

وإذا كان الوجود في الروح استخفاءً على نحو ما ، فإنّ الوجود في المادّة عُري؛ والوجود في العراء هو ما يصنع منّا ضحايا ، وليس وجودنا في المعنى . الوجود في العلامة ليس محنتنا فحسب ، ولكنّه خطيئتنا ، لأنّ خيار الحرّيّة البدئيّ لم يدفع بنا إلى أحضان الحرّيّة ، ولكنّه ألقى بنا في براثن العبوديّة الناتجة عن الوقوع في قبضة الزمان؛ والزمان هو ذلك السلطان الجائر الّذي يروق له أن يلتهم أبناء العلامة البادية ، برغم أنّه لا يملك سلطانًا على سلالة الخافية ◆


ISBN 995336886-4
9 789953 368863
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨